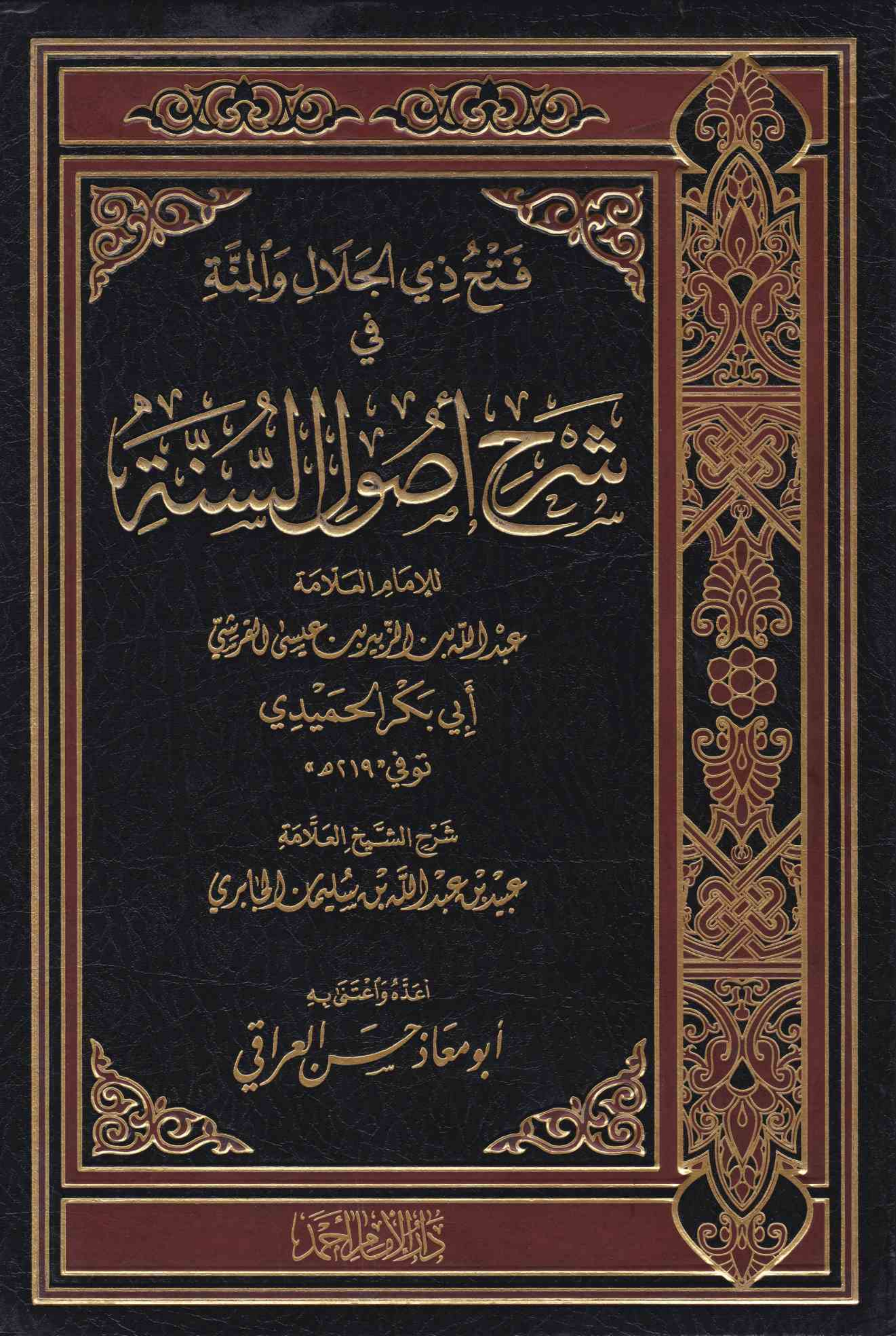

فتح ذي الجلال والمنة
في
شرح أصول السنة
للإمام العلامة
عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشي
أبي بكر الحميدي
توفي "٢١٩هـ"
شرح الشيخ العلامة
عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري
أعده واعتنى به
أبو معاذ حسن العراقي
دار الإمام أحمد


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة


فتح ذي الجلال والمنة
في
شرح أصول السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

فتح ذي الجلال والمنة
في
شرح أصول السنة

للإمام العلامة
عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشي
أبي بكر الحميدي
توفي «٢١٩هـ»

شرح الشيخ العلامة
عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

أعده واعتنى به
أبو معاذ حسن العراقي

دار الإمام أحمد

الطبعة الأولى

دار الإمام أحمد

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

رقم الايداع بدار الكتب المصرية : 2011/20622
رقم الايداع الدولي: 978-977-5004-69-7



6 شارع عزيز فانوس من منشية لتحرير من جسر السويس ـ القاهرة ـ جمهورية مصر العربية
تليفون / 0020222414248 تليفاكس / 0020226365638 جوال / 0020106014978
WWW.DarAlemamAhmad.com
فرع الأزهر: 11 أ درب الاتراك ـ خلف الجامع الازهر
جوال: 0020105264020 هاتف: 002022510297
E. Mail : Dar_AlEMAM_AHMAD@YAHOO.COM

مقدمة المعتني

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعد: فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[١].

---

(١) هذه هي خطبة الحاجة التي كان الرسول ﷺ يبتدئ بها خطبه ومواعظه، أخرجها أبو داود =

وبعد:

فإن الرجوع إلىٰ العلماء أصل عظيم من أصول أهل السنة والجماعة، دليل ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

ومن السنة قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**العلماء ورثة الأنبياء**».

والدراسة عند العلماء ومشافهتهم مقصد كبير، رغَّب فيه الرسول ﷺ وسار عليه أئمة السلف، فما نجد عالمًا من علماء السلف إلا وفي ترجمة حياته أهم الشيوخ والعلماء الذين أخذ عنهم العلم أو روىٰ عنهم الحديث.

فأئمة السلف كانوا يرحلون من أجل أخذ العلم عن أهله ورواية الحديث مشافهة من حملته، والعلماء هم سند دعوة أهل السنة.

قال الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالىٰ-: «إن من عوامل بقاء الدعوة تعاقب الدعاة لها ما تعاقبت الأيام، ومنذ أن أكرم الله تعالىٰ هذه الأمة وصوت الداعي مدوٍّ في أفق المدعوين إلىٰ أن أكمل الله الدين وأتم النعمة،

=

(١/ ٣٣١)، والنسائي (١/ ٢٠٨)، والحاكم (٢/ ١٨٢، ١٨٣)، وأفرد لها الشيخ الألباني رسالة صغيرة سماها «خطبة الحاجة» فلتُنظر.

ثم توالىٰ الدعاة من خلفاء الرسولﷺ إلىٰ من بعدهم من دول أو مصلحين وموجهين آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، وذلك عملًا بالأصل القويم في قوله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران:١٠٤] الآية.

فكلما خيمت سحب البدع، واحلولكت ظلم الجهالة، وخاض الناس لجج الباطل أيد الله تعالىٰ لهذه الأمة رجالًا يدعون إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ بصيرة، ينيرون الطريق، ويظهرون الحق، ويحيون السنة، ويحاربون البدعة، حتىٰ يطهر الله علىٰ أيديهم البلاد، وينقذ بدعوتهم العباد، وهذا من تمام النعمة وسعة الفضل من الله تعالىٰ علىٰ عباده»[1].

فلابد لطالب العلم من معرفة علماء أهل السنة وطلب العلم عندهم، والرحلة إليهم ومجالستهم، ولعل من أعظم أسباب الفوضىٰ الحاصلة بين كثير من الشباب وطلبة العلم هو عدم معرفتهم بالعلماء الراسخين الذين يجب أخذ العلم عنهم هذا من جهة.

ومن جهة أخرىٰ عدم تميز العلماء عمَّن دونهم من طلبة العلم والوعاظ.

قال الشيخ محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله-: «لابد لطالب العلم أن يعرف طبقات العلماء كما عرف العلماء وعرَّفوا بطبقات العلماء والأئمة،

---

(١) «الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته» لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز. محاضرة ألقاها في عام ١٣٨٥هـ حينما كان نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

وطبقات الحفَّاظ، وطبقات الأئمة المجتهدين في المذهب، والمجتهدين اجتهادًا مطلقًا ومن عُرفوا بالفتوىٰ بالمذهب ومن عُرفوا ... إلخ.

فلابد أن تعرف ذلك، تعرف العالمين بالفتن والمختصين بتعلمها هذا أصل موجود في الشرع والنبيﷺ خص حذيفة بالفتن»[(١)].

فمنهج السلف -رحمهم الله- في التلقي قائم علىٰ الأخذ من الثقات وترك أهل الأهواء والفتن، ويدل علىٰ ذلك ما خرجه الإمام مسلم في مقدمته [عن ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «إن هذا العلم دين فانظروا عمَّن تأخذون دينكم».

وعن عاصم الأحول عن ابن سيرين قال: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم؛ فينظر إلىٰ أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلىٰ أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم».

وعن ابن يونس حدثنا الأوزاعي عن سليمان بن موسىٰ قال: «لقيت طاوسًا فقلت: حدثني فلان كيت وكيت، قال: إن كان صاحبك مليًّا[(٢)] فخذ عنه»][(٣)]. انتهىٰ.

فكيف بزماننا، الذي كثرت فيه الفتن وتنوعت؟!

(١) نقلًا من شريط «أهمية معرف العلماء»، وهو مفرَّغ ضمن مجموعة رسائل منهجية للشيخ، أسأل الله أن يعيننا لإتمامها ونشرها لتعم بها الفائدة.

(٢) مليًّا: يعني ثقة ضابطًا متقنًا، يوثق بدينه ومعرفته، يعتمد عليه كما يعتمد الملي بالمال ثقة بذمته.

(٣) انظر: مقدمة «صحيح مسلم»، باب: بيان أن الإسناد من الدين.

ولقد قص الله علينا قصة موسىٰ -عليه الصلاة والسلام- مع الخضر عليه السلام، وفيها بيان أهمية الرحلة لطلب العلم، وتحمل المشاق من أجل هذا المقصد العظيم قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ إلىٰ أن قال: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٠-٧٥].

قال الإمام السعدي في تفسير هذه الآية: «وفي هذه القصة العجيبة الجليلة، من الفوائد والأحكام والقواعد شيء كثير، ننبه علىٰ بعضه بعون الله:

١- فمنها: فضيلة العلم، والرحلة في طلبه، وأنه أهم الأمور، فإن موسىٰ عليه السلام رحل مسافة طويلة، ولقي النصب في العلم علىٰ ذلك.

٢- ومنها: البداءة بالأهم فالأهم، فإن زيادة العلم وعلم الإنسان أهم من ترك ذلك، والاشتغال بالتعليم من دون تزود من العلم، والجمع بين الأمرين أكمل.

٣- ومنها: أن العلم الذي يعلمه الله [لعباده] نوعان:

علم مكتسب يدركه العبد بجده واجتهاده، ونوع علم لدني، يهبه الله لمن يمن عليه من عباده لقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾.

٤- ومنها: التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه ألطف خطاب، لقول موسىٰ عليه السلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾، فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، وأنك هل تأذن لي في ذلك أم لا، وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر، الذي لا يظهر للمعلم افتقارهم إلىٰ علمه، بل يدعي أنه يتعاون هم وإياه، بل ربما ظن أنه يعلم معلمه، وهو جاهل جدًّا، فالذل للمعلم، وإظهار الحاجة إلىٰ تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم.

٥- ومنها: تواضع الفاضل للتعلم ممن دونه، فإن موسىٰ -بلا شك- أفضل من الخضر.

٦- ومنها: تعلم العالم الفاضل للعلم الذي لم يتمهر فيه ممن مهر فيه، وإن كان دونه في العلم بدرجات كثيرة؛ فإن موسىٰ عليه السلام من أولي العزم من المرسلين، الذين منحهم الله وأعطاهم من العلم ما لم يعط سواهم، ولكن

في هذا العلم الخاص كان عند الخضر ما ليس عنده، فلهذا حرص علىٰ التعلم منه، فعلىٰ هذا لا ينبغي للفقيه المحدث إذا كان قاصرًا في علم النحو، أو الصرف، أو نحوه من العلوم، ألا يتعلمه ممن مهر فيه، وإن لم يكن محدثًا ولا فقيهًا.

٧- ومنها: إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالىٰ، والإقرار بذلك، وشكر الله عليها لقوله: ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ﴾؛ أي: مما علمك الله تعالىٰ.

٨- ومنها: أن العلم النافع، هو العلم المرشد إلىٰ الخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطرق الخير، وتحذير عن طريق الشر، أو وسيلة لذلك، فإنه من العلم النافع، وما سوىٰ ذلك، فإما أن يكون ضارًّا، أو ليس فيه فائدة لقوله: ﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾.

٩- ومنها: أن من ليس له قوة الصبر علىٰ صحبة العالم والعلم، وحسن الثبات علىٰ ذلك، أنه يفوته بحسب عدم صبره كثير من العلم فمن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن استعمل الصبر ولازمه، أدرك به كل أمر سعىٰ فيه، لقول الخضر -يعتذر من موسىٰ بذكر المانع لموسىٰ في الأخذ عنه- إنه لا يصبر معه»[١]. انتهىٰ.

فليت شعري أين المتقاعسون من هذه القصة العظيمة؟

---

(١) وهذه بعض من الفوائد التي ذكرها الإمام السعدي -رحمه الله تعالىٰ-، أخذت منها ما يناسب المقام.

بل وأين المتكسبون بالعلم؛ إذا أُعطوا رضوا! وإذا مُنعوا إذا هم يسخطون؟!

بل وأين المتكبرون من هذا التواضع الجميل لنبي من أولي العزم كيف يرحل من أجل طلب العلم؟

وأين الجزعون من هذا الصبر الجميل وتحمل الأعباء والمشاق في سبيل الحصول علىٰ المقصود؟

فلا زال طالب العلم بخير ما شعر أنه بحاجة إلىٰ العلماء وأنه لا يستغني عنهم، وعن مشورتهم وسؤالهم فيما يستجد من نوازل، فإن من أعظم أسباب الوقوع في الفتن والانحراف -نسأل الله السلامة والعافية- هو ترك العلماء، وتنقصهم.

فالخوارج والقدرية ومن شابههم خرجوا عن منهج علماء الصحابة، وكذلك أئمة الضلال في كل زمان ومكان من أبرز سماتهم ازدراء العلماء وعدم الرجوع إليهم.

ولابد من معرفة علماء السنة في كل زمان ومكان، فما كل من كَتب وخَطب وأكثر الكلام وشقشقته أصبح عالمًا؛ إنما العالم من شَهِدَ له العلماءُ بالعلم وصحة المنهج.

قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: «لا تستعجل فيما تسمع من

الناس وخصوصًا عند تأخر الزمان، وكثرة من يتكلم وينتصب للعلم والقول، وخصوصًا لمَّا جدَّت وسائل الإعلام، وصار كل يهذي ويتكلم باسم الدِّين، حتىٰ أهل الضَّلال والفرق الضالة والمنحرفة صاروا يتكلمون باسم الدين الآن في الفضائيات.

فالخطر عظيم جدًّا، فعليك -أيُّها المسلم- وطالب العلم بالذات أن تتثبت، ولا تستعجل مع كل ما تسمع، عليك بالتثبت ومعرفة الذي قال هذا، ومن أين جاء هذا الفكر؟ ثم ما هي مستنداته وأدلته من الكتاب والسنة؟ ثم أين تعلم صاحبه؟ وعمَّن أخذ العلم؟

فهذه أمور تحتاج إلىٰ تثبت، خصوصًا في هذا الزمان، فما كل قائل حتىٰ ولو كان فصيحًا وبليغًا، ويشقق الكلام ويأخذ بالأسماع لا تغتر به حتىٰ ترىٰ مدىٰ ما عنده من العلم والفقه، فربما يكون كلامه قليلًا لكنه فقيه، وربما يكون كلامه كثيرًا لكنه جاهل ليس عنده شيء من الفقه، بل عنده سحر الكلام حتىٰ يغر الناس ويتظاهر بأنه عالم وبأنه فاهم وبأنه مفكِّر، ونحو ذلك حتىٰ يغر الناس ويخرج بهم عن الحق، فليس العبرة بكثرة الكلام وشقشقته، بل العبرة بما فيه من العلم وما فيه من التأصيل، ورب كلام قليل مؤصِّل يكون أنفع بكثير من كلام كثير مشقشق لا تمسك منه فائدة إلا القليل.

وهذا هو الواقع في زماننا يَكْثُرُ الكلام ويقل العلم، يَكْثُرُ القُرَّاءُ ويقل الفقهاء، والفقه ليس هو بكثرة الكلام أو كثرة القراءة أو جودة الكلام، أو

حسن التعبير، يقول الشاعر:

في زخرف القول تزيين لباطله والحق قد يعتريه سوء تعبير

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وإن تشأ قلت ذا قيء الزنابير

إن شئت أن تمدح العسل تقول: هذا (مجاج النحل)، وإن ذممته قلت هذا (قيء)، بدل (مجاج)، وبدل النحل تقول الزنابير، فالبليغ يقلب الحق باطلًا، والباطل حقًّا ببلاغته، فاحذر من هذا، ولهذا حذَّر النبيﷺ من فصيح اللسان الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها، حذَّر من هذا، وقال: «**إن من البيان لسحرًا**»؛ يعني: يسحر الأسماع»[١]. انتهىٰ.

وطالب العلم لابد له من أمور:

الأول: الإخلاص في طلبه لا يبتغي متاع الدنيا وممدحة الناس، لأن العلم عبادة وشرط قبول أي عباده الإخلاص لله تعالىٰ.

الثاني: يطلب العلم لرفع الجهل عن نفسه، وعلامة الأولىٰ أنه يتعبد لله بالعلم ولا يهمه مدحه الناس أو لا، وعلامة الأخرىٰ أنه يفرح إذا بُيِّن له خطؤه ويقبل النصح بصدر منشرح فعلامة الرياء في العلم عدم قبول النصح -والعياذ بالله-.

الثالث: ملازمة العلماء لأنها سبب لاستدامة طالب العلم علىٰ الطلب،

---

(١) «إتحاف القاري بالتعليقات علىٰ شرح السنة للإمام البربهاري» (ج١) (ص٨٦) للشيخ الفوزان -حفظه الله-.

وسبب لثباته علىٰ المنهج، والله -جل وعلا- هو وحده الذي يملك القلوب.

الرابع: التدرج في طلب العلم والاهتمام بالتأصيل؛ لأنه ليس كل من حصَّل تأصل، فكم من مُحصل يحفظ المتون والأقوال لكنه عُدم الفقه والتأصيل.

الخامس: الحذر من الجمعيات الحزبية التي تصطاد بالماء العكر بحجة مساعدة طالب العلم، والنفس راغبة إن رغبتها، وإن تُرد إلىٰ قليل تقنع، فما أفسد نيات كثير من الشباب السلفي، ثم انحراف مناهجهم إلا بسبب بعض هذه الجمعيات الحزبية.

السادس: تجنب البطانة السيئة، فطالب العلم لابد أن يربي نفسه علىٰ التواضع وترك التمشيخ وحب الترفع، فكم من طالب علم أُهلك بكثرة ما يمدح من مقربيه حتىٰ ظن بنفسه أنه أصبح العالم الذي يجب ألا يعارض، ومراقبة النفس وكبح جماحها والابتعاد عن حب الرِّياسة والشهرة من أعظم ما يجب علىٰ طالب العلم مراعاته ومجاهدة النفس عليه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما العلم فآفته: عدم مطابقته لمراد الله الديني الذي يحبه الله ويرضاه، وذلك يكون من فساد العلم تارة ومن فساد الإرادة تارة.

ففساده من جهة العلم: أن يعتقد أن هذا مشروع محبوب لله، وليس كذلك، أو يعتقد أنه يقربه إلىٰ الله، وإن لم يكن مشروعًا فيظن أنه يتقرب إلىٰ

الله بهذا العمل، وإن لم يعلم أنه مشروع.

وأما فساده من جهة القصد: فألا يقصد به وجه الله والدار الآخرة، بل يقصد به الدنيا والخلق.

وهاتان الآفتان في العلم والعمل لا سبيل إلىٰ السلامة منهما إلا بمعرفة ما جاء به الرسول في باب العلم والمعرفة، وإرادة وجه الله والدار الآخرة في باب القصد والإرادة، فمتىٰ خلا من هذه المعرفة وهذه الإرادة فسد علمه وعمله.

والإيمان واليقين يورثان صحة المعرفة وصحة الإرادة.

وهما يورثان الإيمان ويمدَّانه، ومن هنا يتبيَّن انحراف أكثر الناس عن الإيمان، لانحرافهم عن صحة المعرفة وصحة الإرادة، ولا يتم الإيمان إلا بتلقي المعرفة من مشكاة النبوة وتجريد الإرادة عن شوائب الهوىٰ وإرادة الخلق؛ فيكون علمه مقتبسًا من مشكاة الوحي وإرادته لله والدار الآخرة؛ فهذا أصح الناس علمًا وعملًا وهو من الأئمة الذين يهدون بأمر الله ومن خلفاء رسوله في أمته»[١].

السابع: لابد أن يكون طالب العلم فطنًا يعرف ما يدور في الساحة،

---

(١) «الفوائد» باب: (قاعدة الإيمان له ظاهر وباطن) (١/ ٨٥)، انظر: برنامج المكتبة الشاملة، وانظر: «كتاب تمام المنة في شرح أصول السنة» للحميدي للشيخ عبد الله البخاري (ص١٥).

ويعرف ما يُستجد من مناهج وأقوال، وقواعد مخالفة لمنهج السلف، ويرجع إلىٰ العلماء في بيان خطأ وخطورة هذه القواعد والأقوال المحدثة، ولا يلتفت إلىٰ من يميِّع مسألة الرد علىٰ المخالف.

قال الشيخ العلَّامة صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «هذا الذي خرج عن الحق متعمدًا لا يجوز السكوت عنه، بل يجب أن يكشف أمره، ويفضح خزيه حتىٰ يحذره الناس، ولا يقال: الناس أحرارٌ في الرأي، حريَّة الكلمة، احترامُ الرأي الآخر، كما يدندنون به الآن، من احترام الرأي الآخر، فالمسألة ليست مسألة آراء، المسألة مسألة اتباع، نحن قد رسم الله لنا طريقًا واضحًا، وقال لنا سيروا عليه حينما قال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣]، فأي شخص يأتينا ويريد منا أن نخرج عن هذا الصراط فإننا أولًا: نرفض قوله، وثانيًا: نبين ونحذِّرُ الناس منه، ولا يسعنَا السكوتُ عنه، لأننا إذا سكتنا عنه اغترَّ به الناسُ، لا سيَّمَا إذا كان صاحب فصَاحةٍ ولسان وقلم وثقافةٍ، فإن الناس يغترون به، ويقولون هذا مؤهلٌ، هذا من المفكرين، كما هو الحاصل الآن، فالمسألة خطيرة جدًّا.

وهذا فيه وجوب الرد علىٰ المخالف، عكس ما يقوله أولئك، يقولون: اتركوا الردود، دعوا الناس كلٌّ له رأيه واحترامهُ، وحريَّةُ الرأي وحريَّةُ الكلمة، بهذا تهلك الأمة، السلف ما سكتوا عن أمثال هؤلاء، بل فضحوهم وردوا عليهم، لعلمهم بخطرهم علىٰ الأمة، نحن لا يسعنا أن نسكت عن

شرهم، بل لابد من بيان ما أنزل الله، وإلا فإننا نكون كاتمين، من الذين قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة:١٥٩]، فلا يقتصر الأمر على المبتدع، بل يتناول الأمر من سكت عنه، فإنه يتناوله الذم والعقابُ؛ لأن الواجب البيان والتوضيح للناس، وهذه وظيفة الردود العلمية المتوفرة الآن في مكتبات المسلمين كلها تذُبُّ عن الصراطِ المستقيم، وتُحذِّرُ من هؤلاءِ، فلا يروِّجُ هذه الفكرة، فكرةَ حُرِّيَّةِ الرأيِ وحُرِّيَّةِ الكلمةِ واحترامِ الآخر، إلا مضللٌ كاتمٌ للحقِّ.

نحن قصدنا الحق، ما قصدنا نُجَرِّحُ الناس أو نتكلَّم في الناس، القصدُ هو بيان الحقِّ، وهذه أمانةٌ حمَّلَهَا الله العلماءَ، فلا يجوزُ السكوتُ عن أمثال هؤلاء، لكن مع الأسف لو يأتي عالمٌ يرُدُّ على أمثالِ هؤلاءِ قالوا: هذا مُتَسَرِّعٌ... إلى غير ذلك من الوساوس، فهذا لا يخذِّلُ أهلَ العلم أن يبيِّنُوا للناس شرَّ دعاة الضلال، لا يخذِّلُهُم»[1]. انتهى.

الثامن: لابد لطالب العلم أن يعرف كيف يتعامل مع المخالف من غير

---

(١) في شرحه لكتاب «شرح السنة للبربهاري»، تحت عبارة: (واعلم أن الخروج عن الطريق على وجهين فرجل قد زل عن الطريق، وهو لا يريد إلا الخير فلا يقتدى بزلته فإنه هالك، ورجل عاند الحق وخالف من كان قبله من المتَّقين؛ فهو ضال مضلٌّ، شيطان مريد من هذه الأمة حقيق على من عرفه أن يحذر الناس منه، ويبين للناس قصته لئلا يقع في بدعته أحد فيهلك).

إفراط ولا تفريط، فلا يقع في سلك الحدادية الغلاة ولا يقع في سلك المميِّعة، فيسلك المنهج الوسط ومعرفته دقيقة والسعيد من اهتدىٰ إليه، والذي يلاحظ ما وقع فيه الكثير يجد أن سبب ذلك إما إفراطٌ أو تفريطٌ، فلابد لطالب العلم من ضبط قواعد التعامل مع المخالف كل بحسبه.

فلا يعامل العامي الجاهل كمعاملة صاحب العلم الذي يعرف حقيقة الأمر، ولا يساوي من اختلط عليه الأمر مع المعاند المتكبر.

التاسع: لابد لطالب العلم أن يعرف كيف يتعامل مع (الخلاف الذي يحصل بين أهل العلم)؛ فإذا كان هو بنفسه عاجزًا عن ترجيح ومعرفة الحق فعليه الاستعانة بالعلماء؛ لأنه ليس لكل أحد أهلية النظر والترجيح وخصوصًا في المسائل الدقيقة.

والله أسأل أن يهدي ضال المسلمين ويُثبت علىٰ الحق شبابهم، ويجمع شملهم علىٰ الهدىٰ، وأن يتقبل منَّا صالح الأعمال، وأن يحفظ علىٰ السنة علماءنا، وأن يرحم من مات منهم ويجمعنا بهم في جنات النعيم مع الأنبياء والصديقين والشهداء؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصَلِّ اللهم علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

كتبه

حسن العراقي

ترجمة مختصرة
للشيخ عبيد الجابري

من بين هؤلاء العلماء الذين أقرَّ اللهُ أعيُنَنَا برؤيتهم، والدراسة عندهم هو فضيلة الشيخ الوالد المربي: عبيد الجابري.

وهذه بعض المقتطفات من حياته:

نسبه وولادته ونشأته وحياته العلمية:

هو عبيد بن عبد الله بن سليمان الحَمداني الجابري، وبنو جابر من قبائل حرب الحجاز.

كانت ولادته في قرية «الفقير» بوادي «الفرع» بمنطقة المدينة النَّبوية، وذلك عام ١٣٥٧ هـ.

وفي عام ١٣٦٥هـ انتقل مع والده إلىٰ «مهد الذهب»، وهناك تلقىٰ مراحل التعليم الأولىٰ.

وفي عام ١٣٧٤هـ، استوطن بالمدينة، ولظروف عائلية انقطع عن الدِّراسة لفترة من الزَّمن.

ثمَّ في سنة ١٣٨١هـ استأنف الدِّراسة بدءً بدار الحديث المدنية، فالمعهد العلمي، فكلية الشَّريعة بالجامعة الإسلاميَّة وتخرَّج فيها عام ١٣٩٢هـ بتقدير امتياز، وكان الأوَّل علىٰ دفعته -حفظه الله-.

شيوخه:

أمَّا شيوخه، فكل شيوخه لهم الفضل بعد الله ﷻ في التَّربية والسلوك الحسن والتَّفقه في دين الله ﷻ.

وهم كُثر، تتلمذ علىٰ أيديهم في دار الحديث وفي المعهد العلمي وفي كلية الشريعة في الجامعة الإسلامية، ولعل من أبرزهم فضيلة الشيخ العلَّامة المحدِّث عبد المحسن العبَّاد، وفضيلة الشيخ العلَّامة المحدِّث حمَّاد بن محمَّد الأنصاري.

أعماله:

كان إمامًا في مسجد «السبت» بالمدينة النَّبوية من عام ١٣٨٧هـ إلىٰ عام ١٣٩٢هـ.

مدرسًا في متوسطة «عمر بن عبد العزيز» بجدة من عام ١٣٩٢هـ إلىٰ عام ١٣٩٦هـ.

داعية في مركز الدَّعوة والإرشاد بالمدينة النبوية مع مساعدة مدير المركز في حضوره والنِّيابة عنه في غيابه من آخر عام ١٣٩٦هـ إلىٰ عام ١٤٠٤هـ.

مدرسًا في الجامعة الإسلامية من آخر عام ١٤٠٤هـ إلىٰ أول رجب من عام ١٤١٧هـ.

وعند ذلك أُحيل إلىٰ التقاعد بموجب النظام، وخلال فترة وجود الشَّيخ في الجامعة تحصَّل علىٰ شهادة الماجستير في التفسير.

مؤلفاته:

للشَّيخ عدة مؤلفات نذكر منها:

* تيسير الإله بشرح أدلة شروط لا إله إلَّا الله (مطبوع).

* تنبيه ذوي العقول السليمة إلىٰ فوائد مستنبطة من الستة الأصول العظيمة (نشر دار البخاري).

* إمداد القاري بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري.

* شرح منتقىٰ ابن الجارود (يسر الله إتمامه)[1].

ثناء أهل العلم عليه:

أثنىٰ عليه جمع من أهل العلم منهم الشيخ ربيع بن هادي المدخلي، والشيخ عبد المحسن العبيكان وغيرهم من أهل العلم والفضل.

ونذكر هاهنا ثناء الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي: «والله الذي

---

(١) هذه الترجمة مفرَّغة من مادة صوتية.

يطعن فيه، ويقول أنه ليس بعالم هذا يتبع سبيل الشياطين ويتبع الطرق الحزبية في الطعن في علماء المنهج السلفي.

الشيخ عبيد من أفاضل العلماء السلفيين والمعروفين في الورع والزهد والقول بالحق -بارك الله فيكم-، وما يطعن فيه رجل يريد وجه الله -تبارك وتعالىٰ-، وهذه الأساليب عرفناها من الحزبيين»[١].

وقال أيضًا: «الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن تبع هداه.

أما بعد:

الشيخ عبيد مدرس كان في المعهد العلمي بالجامعة الإسلامية، والآن يدرس في فرع جامعة الإمام في المدينة النبوية، وهو رجل متمكن من التوحيد «من علوم التوحيد».

ومن السنة وقد قام بشرح «كتاب التوحيد»، أو «كتاب التفسير للإمام البخاري» شرحًا موسعًا شاملًا للعقيدة وغيرها، وله جهود عظيمة في مناصرة السنة، ويعتبر من كبار الرجال وعقلائهم، ويمتاز بميزات لا توجد عند كثيرٍ من الرجال -بارك الله فيه-.

من صفات الشيخ: الشيخ متواضع في ملبسه ومركبه ومسكنه، وقَّاف

---

(١) نشر هذا القول علىٰ شبكة سحاب السلفية.

عند السنة لا يمنعه علمه، ولا كبر سنه أن يقول فيما يظن أنه أخطأ فيه أن يقول أخطأت، من أمثلة ذلك أنه ذكر -حفظه الله- حديثًا، وصححه تبعًا للشيخ الألباني فذكَّره بعض الإخوة طلبة العلم أن الشيخ الألباني تراجع عن تصحيحه فقال -حفظه الله تعالىٰ-: (وأنا من الآن أرجع عن قولي في تصحيحه).

وهذا يدل علىٰ اعترافه لأهل هذا الشأن بالفضل ويدل علىٰ تواضعه، لم يقل كما هو حال بعض المتعالمين: وجدت له طريقًا، وهو عندي صحيح، ومن أنت يا مسكين حتىٰ يكون عندك (عند)؟!

لا يحب -حفظه الله- الألقاب (العالم أو العلَّامة أو صاحب الفضيلة)، وأذكر مثالًا لذلك لعله يكون عبرة لبعض المتعالمين (الذي يسمع ويرىٰ بعينيه وصف المغرورين به بأنه العلَّامة والمحدث وأمير المؤمنين في الحديث...) مع ذلك لم نسمع أو نقرأ إنكارًا لذلك.

يقول الشيخ عبيد -حفظه الله- موجهًا ومعلمًا للأخ الذي وصفه بأنه علَّامة (وأنا أُشْهِدُ الله والملائكة بأني لست علَّامة إنما أنا عبيد بن سليمان الجابري هكذا سماني أبي)[1]، وهذا في محفل كبير من الحضور وطلبة العلم.

والشيخ -حفظه الله- مثالٌ للجد والنشاط فلم يمنعه كبر سنه، وفقد

---

(١) وهذا في شريط مسجل، وكان موعظة لطلبة العلم العراقيين.

بصره مع مرضه وصومه أن يتوجه إلىٰ الطلبة في سكنهم، ويمكث معهم الساعات، شارحًا لهم المتون العلمية، مجيبًا علىٰ أسئلتهم، ثم يرجع إلىٰ منزله منشغلًا في التأليف والبحوث، مراجعًا الرسائل التي تقدم إليه للنظر فيها مع دروسه عبر وسائل الإنترنت.

وكذلك حضور الدورات العلمية التي تقام في داخل البلاد وخارجها وأثناء رجوعه إلىٰ بيته تكون سيارته ممتلئة بطلبة العلم يقرءون عليه بعض المتون العلمية.

وهذه نبذ مختصرة من حياة هذا العالم الجليل الذي حق لي أن أصفه أنه من طراز الرعيل الأول علمًا وسمتًا وتواضعًا وهمة وورعًا وزهدًا.

❊ ❊ ❊

ترجمة الإمام الحميدي

الحميدي[١]: هو عبد الله بن الزبير بن عيسىٰ بن عبيد الله بن أسامة بن عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزىٰ.

وقيل: جده هو عيسىٰ بن عبد الله بن الزبير بن عبيد الله بن حميد، الإمام الحافظ الفقيه، شيخ الحرم، أبو بكر القرشي الأسدي الحميدي المكي، صاحب «المسند» حدَّث عن إبراهيم بن سعد، وفضيل بن عياض، وسفيان بن عيينة، فأكثر عنه وجود، وعبد العزيز بن عبد الصمد العمي، وعبد العزيز بن أبي حازم، والوليد بن مسلم، ومروان بن معاوية، ووكيع، والشافعي، وليس هو بالمكثر، ولكن له جلالة في الإسلام.

حدَّث عنه: البخاري، والذهلي، وهارون الحمال، وأحمد بن الأزهر، وسلمة بن شبيب، ومحمد بن سنجر، ويعقوب الفسوي، وإسماعيل سمويه، ومحمد بن عبد الله بن البرقي، وأبو زرعة الرازي، وبشر بن موسىٰ، وأبو حاتم، ويعقوب بن شيبة، وأبو بكر محمد بن إدريس المكي وراقه، وخلق سواهم.

---

(١) هذه الترجمة مأخوذة من كتاب «سير أعلام النبلاء» (ج١٠/ ٦١٦) رقم الترجمة (٢١٢).

ثناء العلماء عليه:

قال أحمد بن حنبل: الحميدي عندنا إمام.

وقال أبو حاتم: أثبت الناس في ابن عيينة الحميدي، وهو رئيس أصحاب ابن عيينة، وهو ثقة إمام.

قال الحميدي: جالست سفيان بن عيينة تسع عشرة سنة أو نحوها.

وقال يعقوب الفسوي: حدثنا الحميدي، وما لقيت أنصح للإسلام وأهله منه.

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الرحيم الهروي قال: قدمت مكة سنة ثمان وتسعين، ومات في أولها سفيان بن عيينة قبل قدومنا بسبعة أشهر، فسألت عن أجل أصحاب ابن عيينة، فذكر لي الحميدي، فكتبت حديث ابن عيينة عنه.

قال ابن سعد: الحميدي صاحب ابن عيينة، وراويته، ثقة كثير الحديث.

وفاته:

مات بمكة سنة (٢١٩هـ).

وكذا أرَّخ البخاري.

وقيل: سنة (٢٢٠هـ).

وله رواية في مقدمة «صحيح مسلم».

وقال محمد بن سهل القهستاني: حدثنا الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: ما رأيت صاحب بلغم أحفظ من الحميدي، كان يحفظ لسفيان بن عيينة عشرة آلاف حديث.

وقال محمد بن إسحاق المروزي: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: الأئمة في زماننا: الشافعي والحميدي وأبو عبيد.

وقال علي بن خلف: سمعت الحميدي يقول: ما دمت بالحجاز، وأحمد بن حنبل بالعراق، وإسحاق بخراسان، لا يغلبنا أحد.

مؤلفاته:

للحميدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض المؤلفات منها:

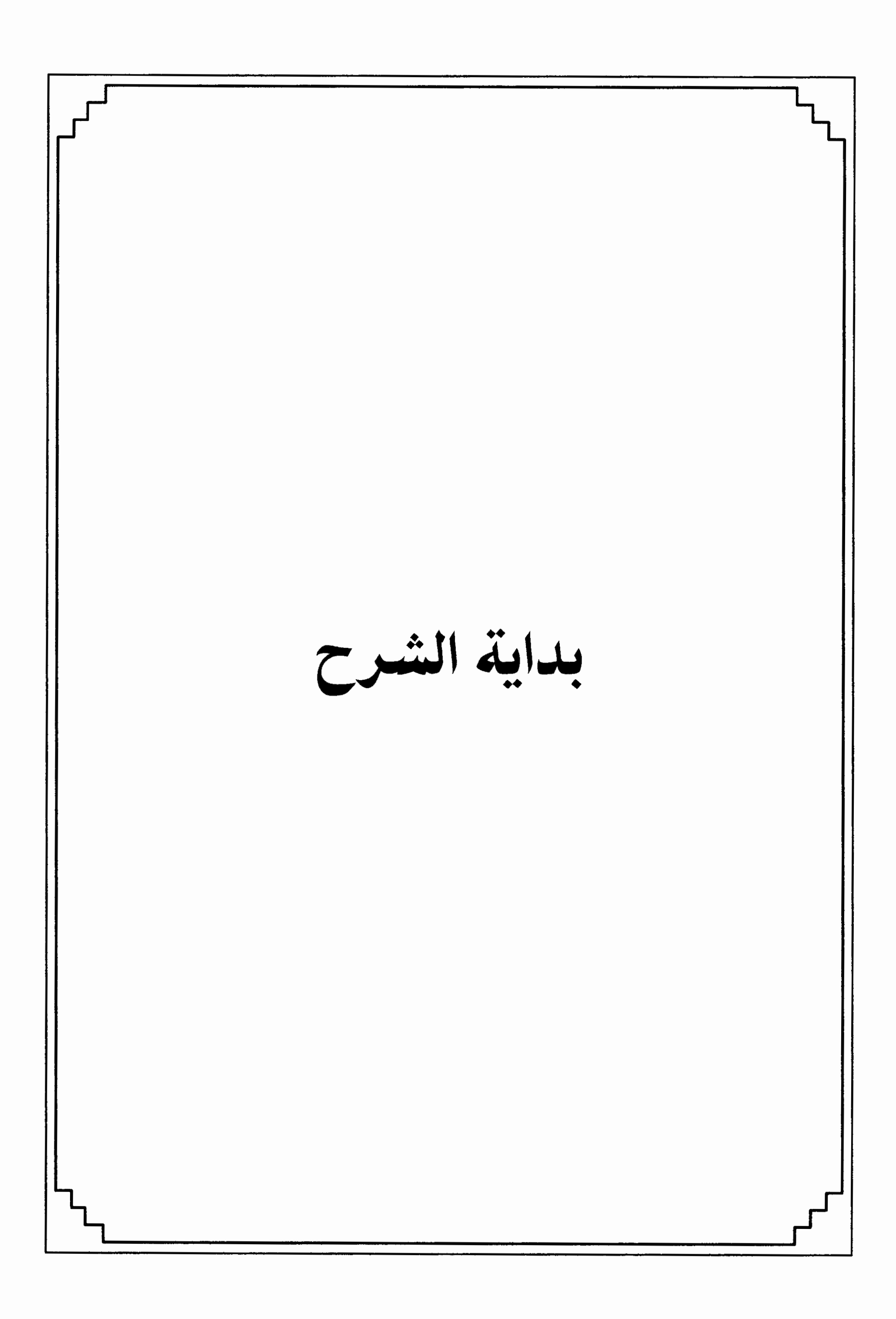
١ - المسند.

٢ - الرد علىٰ النعمان.

٣ - التفسير.

٤ - الدلائل.

❊ ❊ ❊



بداية الشرح


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosailulmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

[الإيمان بالقدر]

قال الإمام الحميدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

السُّنَّةُ عِندَنَا: أَن يُؤمِنَ الرَّجُلُ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، حُلوِهِ وَمُرِّهِ، وَأَن يَعلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَم يَكُن لِيُخطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخطَأَهُ لَم يَكُن لِيُصِيبَهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ قَضَاءٌ مِنَ اللهِ عَجَّلَ.

لقد اعتنىٰ أئمة السلف ومنهم الأئمة الأربعة[١] والسفيانان، وغيرهم بالعقيدة، تعليمًا وتصنيفًا؛ لأن العقيدة هي أصل وأساس.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالىٰ-: «وأصل الدين أمران[٢]:

---

(١) الأئمة الأربعة هم: (أبو حنيفة النعمان، والإمام أحمد، والشافعي، والإمام مالك).

(٢) قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا قيل لك: إيش دينك؟ فقل: ديني الإسلام، وأصله وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض علىٰ ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه، والإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله.

=

الأول: الدعوة إلىٰ عبادة الله تعالىٰ وحده والتحريض علىٰ ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه.

الثاني: التحذير من الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله والأدلة علىٰ هذين الأصلين الكتاب والسنة والإجماع».

قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل:٣٦].

والآيات في هذا الباب أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر، وما زال رسول الله ﷺ منذ بعثه الله تعالىٰ حتىٰ توفاه، وهو يقرر هذين الأصلين في الفترة المدنية، وقبل ذلك في الفترة المكية.

=

وهو مبني علىٰ خمسة أركان: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت مع الاستطاعة».

انظر: «مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان» (ج١) (ص٤٥) (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول). دراسة وتحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

لكن الفترة المدنية تزيد علىٰ الفترة المكية بتقرير الأحكام العملية، وقال ﷺ: «**إن الله يرضىٰ لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا.**

فيرضىٰ لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[1].

والأحاديث في ذلك متواترة تواترًا معنويًّا توجب العلم والعمل، وأجمع الأئمة علىٰ ذلك، ولذلك كانوا يقررون العقيدة الصحيحة المبنية علىٰ الكتاب والسنة وعلىٰ فهم السلف الصالح، ويحذرون من ضدها سواءً ما ينفي الإيمان بالكلية أو ينفي كماله الواجب؛ لأن المقصود تصفية التدين لله سبحانه وتعالى، فالمقصود أن يكون التدين خالصًا لله تعالىٰ من شائبة الشرك والبدع.

وهذه الرسالة تتضمن مسائل ومباحث من أصول العقيدة وبدأها الشيخ -رحمه الله تعالىٰ- (الحميدي)، وأظنه أحد شيوخ البخاري بدأها بالقدر، وأظن أن السبب في ذلك كثرة القدرية في عصره وظهور شوكتهم وشدة دعوتهم إلىٰ القدر فيقررون أن لا قدر والأمر أنف؛ يعني: الأمر مستأنف لم يكن علمه الله تعالىٰ، ولا كتبه في اللوح المحفوظ، هذه عقيدتهم وأول من نشر هذا المعتقد هو معبد بن خالد الجهني وأخذه عن نصراني اسمه

(١) الحديث أخرجه بهذا اللفظ الإمام مسلم، باب: ذكر الإخبار عما يجب علىٰ المرء من مجانبة الإكثار من السؤال رقم (١٧١٥).

(سُوسَن)[١].

الشيخ هنا لخَّص مسألتين في القدر:

المسألة الأولىٰ: إيمان العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وهذا لأن الله قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ.

المسألة الثانية -وهي تأكيد لها-: أن كل ما يجري علىٰ العبد هو في قضاء الله، والقدر هو أحد أركان الإيمان الستة التي لا يكون العبد مؤمنًا حتىٰ يستجمعها، وهذه الأركان الستة قد جاءت في الكتاب والسنة، فخمسة منها جاءت آية البر من سورة البقرة وهي قوله تعالىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة:١٧٧].

والقدر جاء في آية أخرىٰ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

ومن أدلة الإيمان بالقدر وأنه أحد أركان الإيمان حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو الحديث المشهور بحديث جبريل عندما سأله الرسول ﷺ

(١) وبالمناسبة فأنا أقترح علىٰ إخواني وأبنائنا أن يغيروا من بناتهم من اسمها سوسن، وأن يسموها بأسماء إسلامية فاضلة، وأفضل الأسماء للنساء الصحابيات والخيرات من التابعيات، وأفضلهن أمهات المؤمنين ومنهنَّ خديجة وحفصة وعائشة وزينب وهند بنت أبي أمية -رضي الله عن الجميع-.

....

عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالقدر خيره وشره»(١).

(١) أخرج الإمام مسلم في صحيحه حديث جبريل عن ابن بريدة عن يحيىٰ بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني. فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجَّين أو معتَمِرَين، فقلنا: لو لقينا أحدَ من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عمَّا يقول هؤلاء في القدر فوفِّق لنا عبدُ الله بن عمر بن الخطاب داخلًا المسجد؛ فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله؛ فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليَّ، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن، ويتقفرون العلم، وذَكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أُنف، قال: فإذا لقيت أُولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبدُ الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبل الله منه حتىٰ يؤمن بالقدر، ثم قال: حدثني أبي عمرُ بن الخطاب قال: «بينَمَا نَحنُ جُلُوسٌ عِندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَومٍ؛ إذ طَلَعَ عَلَينَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَاب شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعرِ، لاَ يُرَىٰ عَلَيهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلاَ يَعرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النبي ﷺ؛ فَأَسنَدَ رُكبَتَيهِ إِلَىٰ رُكبَتَيهِ، وَوَضَعَ كَفَّيهِ عَلَىٰ فَخِذَيهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخبِرنِي عَنِ الإِسلَام.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **الإِسلَامُ أَن تَشهَدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البيتَ إِن استَطَعتَ إِليهِ سَبِيلًا.**

قَالَ: صَدَقتَ! فَعَجِبنَا لَهُ يَسأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخبِرنِي عَنِ الإِيمَانِ.

قَالَ: **أَن تُؤمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِه، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَاليَومِ الآخِر، وَتُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ.**

قَالَ: صَدَقتَ، قَالَ: فَأَخبِرنِي عَنِ الإِحسَانِ.

قَالَ: **أَن تَعبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَم تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.**

قَالَ: فَأَخبِرنِي عَنِ السَّاعَةِ.

قَالَ: **مَا المَسئُولُ عَنهَا بِأَعلَمَ مِنَ السَّائِلِ.**

=

ولابد هاهنا من أمور:

=

قَالَ: فَأَخبِرنِي عَن أَمَارَاتِها.

قَالَ: **أَن تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَن تَرىٰ الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنيَانِ،** ثُمَّ انطَلَقَ فَلَبِثَ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: **يَا عُمَرُ، أَتَدرِي مَنِ السَّائِلُ؟** قُلتُ: اللهُ وَرَسُوله أَعلَمُ! قَالَ: **فَإِنَّهُ جِبرِيلُ أَتَاكُم يُعَلِّمُكُم دِينكُم».**

الفوائد المنهجية المستفادة من هذا الحديث:

١- لا يجوز السكوت إذا حدث ما يخالف المنهج السلفي، فالصحابة لم يسكتوا إنما بيَّنوا وحذَّروا من بدعة القدر.

وفي هذا بيان خطأ منهج الآمر بالسكوت علىٰ الأخطاء التي تقع من بعض الوعاظ، ولو كانت الأخطاء منهجية، أو عقدية بحجة تعلق الناس بهم.

٢- وجوب الرجوع إلىٰ العلماء عند حدوث الفتن، وخصوصًا فتن الشبهات؛ لذلك فإن التابعين رجعوا عندما حدثت فتنة القدر إلىٰ علماء الصحابة رضي الله عنهم .

٣- البراءة من البدع وأهلها، وبيان خطورتها في الحال والمآل كما قال ابن عمر رضي الله عنه: «فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبل الله منه حتىٰ يؤمن بالقدر».

رد البدعة بالسنة كما فعل ابن عمر رضي الله عنه: «حيث استدل ببطلان قول القدرية بحديث جبريل المشهور»، لا يجوز السكوت عمَّن أظهر بدعة، ولو كان من أهل العلم والعبادة؛ لأن الذين أحدثوا القول في القدر ذُكر من شأنهم أنهم كانوا (يتقفرون العلم)؛ أي: أهل علم وبحث، مع ذلك ما منع الناس أن يبيِّنوا للصحابة حالهم ومقالهم، مع أن حالهم قد يكون أفضل من أحوال كثير من مبتدعي هذا الزمان الذين قلَّ علمهم وديانتهم.

٤- خطورة البدع وأنها قد تؤدي بصاحبها إلىٰ النار.

الأول: فيما يتحقق به الإيمان بالقدر ويسمىٰ مراتب القدر وهي أربع مراتب:

المرتبة الأولىٰ: مرتبة العلم، وهي الإيمان بأن الله ﷻ علم كل شيء، علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، أحاط بكل شيء علمًا فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة، وهي الإيمان بأن الله كتب كل شيء عنده في اللوح المحفوظ وفْقَ ما علمه من أحوال الخلق وآجالهم وأرزاقهم وغير ذلك(١).

المرتبة الثالثة: مرتبة المشيئة: وهي ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولهذا أجمع أهل السنة أنه لا يقع في ملك الله إلا ما يريد، وأحيانًا يقولون: لا يقع في ملك الله ما لم يرد(٢).

---

(١) وأدلة المرتبتين من القرآن كثيرة، منها قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠]. ففي الآية إثبات العلم وإثبات الكتابة.

انظر: «القول المفيد في شرح كتاب التوحيد» للشيخ العثيمين -رحمه الله تعالىٰ-.

(٢) ودليلها قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق، وهو أنه ﷻ خالق كل شيء في هذا الكون في الأرض وفي السماء وما بينهما وما فيهما[(١)].

وغلاة القدرية ينكرون المرتبتين الأوليين وهؤلاء يقول شيخ الإسلام ابن تيمية قد انقرضوا، وهم كفار بالإجماع.

---

(١) ودليل هذه المرتبة قول الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر:٦٢].

قال الشيخ العثيمين: «وهذا العموم لا مخصص له، حتىٰ فعل المخلوق مخلوق لله، لأن فعل المخلوق من صفاته، وهو وصفاته مخلوقان، ولأن فعله نتج عن أمرين:

١- إرادة جازمة.

٢- قدرة تامة.

والله هو الذي خلق في الإنسان الإرادة الجازمة والقدرة، ولهذا قيل لأعرابي: بِمَ عرفت ربك؟ قال: بنقض العزائم، وصرف الهمم.

والعبد يتعلق بفعله شيئان:

١- خلق، وهذا يتعلق بالله.

٢- مباشرة، وهذا يتعلق بالعبد وينسب إليه، قال تعالىٰ: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الواقعة: ٢٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢]. ولولا نسبة الفعل إلىٰ العبد ما كان للثناء علىٰ المؤمن المطيع وإثباته فائدة، وكذلك عقوبة العاصي وتوبيخه».

انظر: «مجموع فتاوىٰ ورسائل محمد بن صالح العثيمين»، المجلد التاسع.

«القول المفيد شرح كتاب التوحيد»، المجلد الثاني، باب: ما جاء في منكري القدر.

والمقتصرون منهم -قبحهم الله- ينكرون المرتبتين الأُخْرَيَينِ، وهم علىٰ ضلال ولكن أخف من أولئك.

هناك تفصيل يتعلق بالعلم والكتابة: فما سلف يسمىٰ التقدير الإجمالي، وما سنذكره يسمىٰ التقدير التفصيلي، وهو فيما يتعلق بمرتبتي العلم والكتابة.

فالتقدير التفصيلي ثلاث مراتب:

١- عمري.

٢- وحولي.

٣- ويومي.

فالتقدير العمري: هو تقدير ما يجري علىٰ كل إنسان بذاته، عمره مائة سنة أو أقل أو أكثر وهو مأخوذ من التقدير العام، وفيه حديث الصادق المصدوق عن ابن مسعود ﷺ: «**إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا**»[١].

(١) الحديث أخرجه البخاري، باب: ذكر الملائكة برقم (٣٠٣٦) عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ -وهو الصادق المصدوق- قال: «**إِنَّ أَحَدَكُم يُجمَعُ خَلقُهُ فِي بَطنِ أُمِّهِ أَربَعِينَ يَومًا نُطفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضغَةً مِثلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرسَلُ إِلَيهِ المَلَكُ فَيَنفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤمَرُ بِأَربَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتبِ رِزقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَو سَعِيدٌ**.
=

....

فذكر الحديث إلىٰ أن قال: «**ثم ينفخ فيه الروح؛ فيبعث الله ملكًا؛ فيؤمر بكتابة رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد**».

والتقدير الحولي: وهذا يخص كل سنة بعينها بدأت من ليلة القدر إلىٰ مثلها من قابل، فستتكم هذه سنة إحدىٰ وثلاثين ما يتعلق بهذه السنة فصل من اللوح المحفوظ من ليلة القدر من العام الماضي إلىٰ مثلها من رمضان الآتي، قال تعالىٰ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:٤]؛ يعني: يفصل من اللوح المحفوظ.

والتقدير اليومي: وهو ما يخص اليوم ذاته من طلوع الفجر إلىٰ غروب الشمس، ما يكون فيه من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال ورفع وخفض إلىٰ غير ذلك كما قال تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩].

❊ ❊ ❊

=

فَوَالله الَّذِي لَا إِلَهَ غَيرُهُ؛ إِنَّ أَحَدَكُم لَيَعمَلُ بِعَمَلِ أَهلِ الجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَينَهُ وَبَينَهَا إلا ذِرَاعٌ؛ فَيَسبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ فَيَعمَلُ بِعَمَلِ أَهلِ النَّارِ فَيَدخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُم لَيَعمَلُ بِعَمَلِ أَهلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَايَكُونُ بَينَهُ وَبَينَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ فَيَعمَلُ بِعَمَلِ أَهلِ الجَنَّةِ فَيَدخُلُهَا».

[وأخرجه مسلم في القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه رقم (٢٦٤٣)].

[الإيمان قول وعمل يزيد وينقص]

قال الحميدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَأَنَّ الإِيمَانَ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنقُصُ، وَلا يَنفَعُ قَوْلٌ إِلا بِعَمَلٍ، وَلا عَمَلٌ وَقَوْلٌ إِلا بِنِيَّةٍ، وَلا قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلا بِسُنَّةٍ.

هذا هو تعريف الإيمان عند أهل السنة قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، هذه إحدىٰ العبارتين عند أهل السنة والعبارة الأخرىٰ المشهورة: (قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية).

فالقول قسمان:

قول القلب، وقول اللسان.

والعمل قسمان:

عمل بالقلب، وعمل بالجوارح.

فقول القلب عقيدته، وعمل القلب حركته وعزمه.

فعلىٰ سبيل المثال:

الصلاة: فكونك تعتقدها فرضًا، وأنها عمود الإسلام إلىٰ غير ذلك من الأمور هذا هو قول القلب.

وكونك تعزم علىٰ فعلها هذا هو عمل القلب.

وقول اللسان كل قول طيب وكل ذكر يتقرب به العبد إلىٰ الله تعالىٰ.

وأساس الدين كله النطق بالشهادتين من غير المسلمين؛ أي: لا يدخل في الإسلام إلا بالشهادتين يقولها ويعلم معناها، ثم يُتبع الشهادتين سائر الأذكار المشروعة من تسبيح وتهليل وتكبير وقراءة القرآن، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وغير ذلك هذا هو قول اللسان، وعمل القلب عرفناه.

وعمل الجوارح معروف.

بهذا يستبين أن العمل من مسمىٰ الإيمان ولكن يفصَّل، فمن الأعمال:

أولًا: ما تركه كفر وخروج من الملة ينافي الإيمان بالكلية؛ كتارك الشهادتين وهذا بالاتفاق، وترك الصلاة جحودًا من العالم بها، والخلاف في تركها تهاونًا، وليس هذا موضع بسط الخلاف في هذه المسألة -أعني: مسألة ترك الصلاة تهاونًا مع الإقرار بوجوبها-.

....

ثانيًا: ما تَرْكه فسق ينافي كمال الإيمان وسائر أركان الإسلام، مثل الزكاة وصوم رمضان والحج، وهذه تركها فسق ما لم يجحدها؛ فمن جحدها عالمًا بوجوبها كفر، ولكن من تركها متهاونًا فصنيعه هذا ينافي كمال الإيمان الواجب.

ثالثًا: ما تركه ينافي الكمال المستحب، ويقال: تفويت فضيلة وهي السنن والمندوبات هذه تركها ينافي الكمال المستحب، هذا تفصيل مكانة العمل من الإيمان عند أهل السنة إجمالًا.

عندهم أن العمل من الإيمان -من أركان الإيمان-، لذلك يقولون: لا إيمان إلا بعمل.

❊ ❊ ❊

وقول المصنف: «وَلا يَنفَعُ قَولٌ إِلا بِعَمَلٍ، وَلا عَمَلٌ وَقَولٌ إِلا بِنِيَّةٍ، وَلا قَولٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلا بِسُنَّةٍ».

خلاصة هذه أن الأمور متلازمة، القول لا ينفع وحده إلا بعمل والعمل معه، هذا رد علىٰ بعض طوائف المرجئة الذين يعرفون الإيمان بأنه قول[١].

والقول والعمل لابد لهما من نية خالصة لله ﷻ، ثم لابد مع هذا من إصابة السنة، وهذا تنبيه إلىٰ أنه لا ينال العمل القبول عند الله إلا إذا وافق سنة الرسولﷺ، ولهذا قال الأئمة: العمل إن فقد الإخلاص كان شركًا أو رياءً، وإن فقد المتابعة لرسول اللهﷺ كان بدعة، ومتىٰ جمع العمل الإخلاص لله سبحانه والمتابعة لرسول اللهﷺ كان العمل مقبولًا.

---

(١) قال الشيخ العثيمين رحمه الله تعالىٰ: «المرجئة، وهم ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: قالوا: الإيمان مجرد ما في القلب، وهما نوعان:

الأول: من يُدخل أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة.

والثاني: من لا يدخلها، وهم الجهمية وأتباعهم كالأشعري، لكن الأشعري يثبت الشفاعة في أهل الكبائر.

والصنف الثاني: قالوا: الإيمان مجرد قول اللسان، وهم الكرامية، ولا يعرف لأحد قبلهم، وهؤلاء يقولون إن المنافق مؤمن، ولكنه مخلد في النار.

الصنف الثالث: قالوا: إنه تصديق القلب وقول اللسان، وهم أهل الفقه والعبادة من المرجئة، ومنهم أبو حنيفة وأصحابه».

«مجموع فتاوىٰ و رسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين» (المجلد الأول) (ص٣٣).

وأهل السنة والجماعة، قالوا: إن العمل أربعة أصناف:

أحدها: ما كان خالصًا لله صوابًا علىٰ السنة.

وثانيًا: ما كان خالصًا له وليس علىٰ السنة.

وثالثًا: ما كان غير خالصٍ لله وصوابًا علىٰ السنة.

ورابعًا: ما ليس خالصًا لله وليس صوابًا علىٰ السنة هذا ذهب عنه الشرطان.

وأسعد العمل بالقبول هو الصنف الأول؛ لأن صاحبه جمع بين الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ.



[الثناء على الصحابة -رضوان الله عليهم-]

قال الحميدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَالتَّرَحُّمُ عَلَىٰ أَصحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ كُلِّهِم فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

فَلَم نُؤمَر إِلَّا بِالاستِغفَارِ لَهُم، فَمَن سَبَّهُم أَو تَنَقَّصَهُم أَو أَحَدًا مِنهُم فَلَيس عَلَىٰ السُّنَّةِ، وَلَيسَ لَهُ فِي الفَيءِ حَقٌّ، أَخبَرَنَا بِذَلِكَ غيرُ وَاحِدٍ عَن مَالِكِ ابنِ أَنَسٍ أَنَّهُ قَالَ: قَسَمَ اللهُ تَعَالَىٰ الفَيءَ فَقَالَ: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ الآيَةَ [الحشر: ٨-١٠]، فَمَن لَم يَقُل هَذَا لَهُم فَلَيسَ مِمَّن جُعِلَ لَهُ الفَيءُ.

هذه المسألة أراد الشيخ بها أمرين:

أحدهما: بيان مكانة الصحابة رضي الله عنهم.

والثاني: الرد على ثلاث طوائف زائغة، فأهل السنَّة يحبون الصحابة كلهم ويتولَّونهم ويترحَّمون عليهم، ويترضَّون عليهم، ويمسكون عمَّا شجر بينهم ولا يذكرونهم إلا بخير.

فقد منَّ الله على أهل السنَّة بأمور منها سلامة صدورهم وألسنتهم وسلامة ألسنتهم من السب والشتم، وعبارات التنقص للصحابة كلهم أو جماعة منهم وسلامة صدورهم من الحقد.

وهذا هو ما تضمنته آية الحشر، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

فسلامة الصدور والقلوب نحو الصحابة من صفات أهل الإيمان.

وأما الطوائف الأخرى الزائغة:

فالطائفة الأولى: هم الرافضة، فهؤلاء يكَفِّرون الصحابة ويسبونهم ويمقتونهم جميعًا، إلا قلة منهم، منهم علي رضي الله عنه، ويقولون هؤلاء هم المؤمنون، ففي رواية ثلاثة، وفي رواية سبعة، وفي رواية اثني عشر.

الطائفة الثانية: الخوارج، فهؤلاء يكفِّرون عليًّا رضي الله عنه.

الطائفة الثالثة: النواصب، وهم الذين ناصبوا العداء لعلي رضي الله عنه وآل البيت، وبعضهم يكفِّرهم وبعضهم لا يكفِّرونهم، لكنهم مُعلنون عن عداوتهم لآل البيت.

وقد جرت عادة أهل السُّنَّة أن يُقرروا السنَّة ويُبينوا ما خالفها حتىٰ تقوىٰ في القلوب السنَّة، ويقوىٰ في القلب الحذر مما يضادها.



[القرآن كلام الله تعالى]

قال الحميدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالقُرآنُ كَلَامُ اللهِ، سَمِعتُ سُفيَانَ يَقُولُ: وَالقُرآنُ كَلَامُ اللهِ، وَمَن قَالَ: مَخلُوقٌ؛ فَهُوَ مُبتَدِعٌ، لَم نَسمَع أَحَدًا يَقُولُ هَذَا.

وَسَمِعتُ سُفيَانَ يَقُولُ: الإِيمَانُ قَولٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنقُصُ، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ إِبرَاهِيمُ بنُ عُيَينَةَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، لا تَقُل: يَنقُصُ، فَغَضِبَ وَقَالَ: اسكُت يَا صَبِيُّ، بَل حَتَّىٰ لا يَبقَىٰ مِنهُ شَيءٌ.

هذه مسألة عظيمة مضىٰ عليها بعد النبي ﷺ الصحابة والتابعين، حتىٰ جاء عهد المأمون الخليفة العباسي المتشيِّع وبطانته بشر بن غياث المريسي، فنشروا للناس أن القرآن مخلوق، فحامل كِبْر هذه المسألة هو بشر بن غياث المريسي (١)،

(١) قال الشيخ محمد صالح العثيمين -رحمه الله تعالىٰ- في كتابه «تلخيص الحموية»: «شاعت مقالة التعطيل بعد القرون المفضلة، الصحابة والتابعين وتابعيهم، وإن كان أصلها قد نبغ في أواخر عصر التابعين.

وأول من تكلم بالتعطيل الجعد بن درهم فقال: إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسىٰ تكليمًا؛ فقتله خالد بن عبد الله القسري الذي كان واليًا علىٰ العراق لهشام بن عبد الملك، =

....

=

خرج به إلىٰ مصلىٰ العيد بوثاقه ثم خطب الناس وقال: أيها الناس ضَحُّوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضحٍّ بالجعد بن درهم؛ إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسىٰ تكليمًا؛ ثم نزل وذبحه وذلك في عيد الأضحىٰ سنة ١١٩هـ.

وفي ذلك يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في النونية:

ولأجل ذا ضحّىٰ بجعد خالد الـ ... قسري يوم ذبائح القربان

إذ قال: إبراهيم ليس خليله ... كلا ولا موسىٰ الكليم الداني

شكر الضحية كل صاحب سنة ... لله درك من أخي قربان

ثم أخذها عن الجعد رجل يقال له: الجهم بن صفوان وهو الذي ينسب إليه مذهب الجهمية المعطلة، لأنه نشره فقتله سَلمُ بن أحوز صاحب شرطة نصر بن سيار، وذلك في مرو سنة ١٢٨هـ.

وفي حدود المائة الثانية عُرِّبت الكتب اليونانية والرومانية؛ فازداد الأمر بلاء وشدة.

ثم في حدود المائة الثالثة انتشرت مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقتِه الذين أجمع الأئمة علىٰ ذمهم وأكثرهم كفروهم أو ضللوهم.

وصنف عثمان بن سعيد الدارمي كتابًا ردَّ به علىٰ المريسي سماه «نقض عثمان بن سعيد علىٰ الكافر العنيد فيما افترىٰ علىٰ الله من التوحيد»، من طالع هذا الكتاب بعلم وعدل تبيَّن له ضعف حجة هؤلاء المعطلة، بل بطلانها، وأن هذه التأويلات التي توجد في كلام كثير من المتأخرين كالرازي، والغزالي، وابن عقيل وغيرهم هي بعينها تأويلات بِشْر.

وأما استمداد مقالة التعطيل فكان من اليهود والمشركين وضلال الصابئين والفلاسفة؛ فإن الجعد بن درهم أخذ مقالته علىٰ ما قيل من أبان بن سمعان عن طالوت عن لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ.

ثم إن الجعد كان علىٰ ما قيل من أرض حران، وفيها خلق كثير من الصابئة والفلاسفة، ولا ريب أن للبيئة تأثيرًا قويًّا في عقيدة الإنسان وأخلاقه». انتهىٰ.

والذي احتواه وأشاعه وحمل الناس عليه بالقوة هو الخليفة المأمون، وكان متشيعًا ولهذا تعلمون أن الرافضة أصل كل بلية في الإسلام، فما عُرف بناء القبور واتخاذ المساجد عليها إلا من الرافضة، ما كان قبلهم معروفًا فأهل السُّنَّة والجماعة يرون أن القرآن كلام الله كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٦].

ولهذا يقولون: القرآن كلام الله كيف ما تصرف الناس فيه تلاوة بألسنتهم أو حفظًا بصدورهم أو كتابة في مصاحفهم، لا يخرج عن كونه كلام الله تعالىٰ، وقالوا: مَن قال: إن القرآن مخلوق كافر؛ لأن القرآن كلام الله، فمَن قال غير هذا فقال بخلق القرآن، وهو يعلم -يعني: عنده علم- هذا يكفر.

فالسؤال هنا: هل من أحد اليوم يقول هذه المقولة؟

الجواب: نعم ومنهم سيد قطب، قال في تفسيره المعروف «في ظلال القرآن» وهو في الحقيقة (ضلال) وليس (ظلالًا)؛ لأنه مليء بالكفريات والبدع.

قال في تفسير سورة طه: «القرآن ظاهرة كونية كظاهرة السماء والأرض فنزلت من السماء».

قاله حسب ما أظن في صفحة (٢٣٣٨) في تفسير سورة طه[١]، ويقررها إمام الإباضية أحمد الخليلي يقرر هذا، وقد ردَّ عليه الشيخ صالح بن علي بن فقيه، ولا نزال نسمع من بعض المتفلسفة أنهم يقولون: ومحمدﷺ كان كونًا مثل القرآن.

مَن كوَّن الكون؟ اللهُ تعالىٰ؛ يعني: معنىٰ كلامهم هذا أن القران مخلوق مثل محمدﷺ[٢].

---

(١) **قال سيد قطب في تفسيره -في تفسير سورة طه-**: «الذي نزَّل هذا القرآن هو الذي خلق الأرض والسموات... السموات العلا...، فالقرآن ظاهرة كونية كالأرض والسموات؛ تنزَّلت من الملأ الأعلىٰ، ويربط السياق بين النواميس التي تحكم الكون والتي ينزل بها القرآن؛ كما ينسق ظل السموات العلا مع الأرض، وظل القرآن الذي ينزل من الملأ الأعلىٰ إلىٰ الأرض...

والذي نزَّل القرآن من الملأ الأعلىٰ، وخلق الأرض والسموات العلا، هو (الرحمن)، فما نزَّله علىٰ عبده ليشقىٰ.

وصفة الرحمة هي التي تبرز هنا للإلمام بهذا المعنىٰ، وهو المهيمن علىٰ الكون كله، (علىٰ العرش استوىٰ)، والاستواء علىٰ العرش كناية عن غاية السيطرة والاستعلاء، فأمر الناس إذن إليه وما علىٰ الرسول إلا التذكرة لمن يخشىٰ».

(٢) **اختلف الناس في مسألة القرآن إلىٰ طوائف كثيرة أشهرها:**

١ - **الجهمية -نسبة للجهم بن صفوان-**، وقد أنكروا صفة الكلام وقالوا: إن الله لا يوصف بكلام ولا متكلم.

انتشرت مقالة الجهمية في حدود المائة الثالثة بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقتِه الذين أجمع الأئمة علىٰ ذمهم وأكثرهم كفروهم أو ضللوهم.

=

المسألة الثانية: التعليق على كلام سفيان على أخيه إبراهيم قال: «ينقص حتى لا يبقى منه شيء».

=

وصنف عثمان بن سعيد الدارمي كتابًا ردَّ به على المريسي سماه «نقض عثمان بن سعيد على الكافر العنيد فيما افترى على الله من التوحيد»، من طالع هذا الكتاب بعلم وعدل تبيَّن له ضعف حجة هؤلاء المعطلة، بل بطلانها، وأن هذه التأويلات التي توجد في كلام كثير من المتأخرين كالرازي، والغزالي، وابن عقيل وغيرهم هي بعينها تأويلات بِشْر.

٢- **الكلابية أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب**، وعبد الله بن سعيد بن كلاب توفي قريبًا من وفاة الإمام أحمد سنة ٢٤١ أو ٢٤٠، كان أتى بمذهب جديد خطير سُمي بمذهب الكلابية، ثم انقرض لأنه تبناه الأشعري والماتريدي، لأن الأشعري بعدما انتهى من فترة الاعتزال ذهب يطلب الحديث فرأى أصحاب ابن كلاب يتدارسون بعض الأمور فجلس عندهم فأخذ عنهم مذهبه المسمى بمذهب الأشعرية، وهو مذهب الكلابية بأكثر مسائله.

والكُلَّابية هم أول من أحدث القول بأن كلام الله قديم.

أول من أحدث في الأمة أن القرآن مخلوق هم: الجعدية، الجهمية، المعتزلة.

وأول من أحدث أن القرآن هو كلام الله وهو قديم وهو معنى نفسي هم: الكُلَّابية أتباع عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب وتَبِع ابن كلاب على ذلك الأشعري ومن تبعه على مذهبه.

والسبب أن هذه المسألة؛ لما أن الأشعري ترك المعتزلة وخلع مذهبه ذهب في بغداد التي هي دار الخلافة العباسية، يُدَرَّس فيها في المساجد، المعتزلة يُدَرِّسون والكلابية يُدَرِّسون والكرامية، أصحاب كل مذهب لهم حلقات، فلحق بحلقة أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، فسمعهم يتكلمون في مسألة الكلام فأعجب بكلامهم في أن كلام الله -جل وعلا- قديم، وأنه معنى نفسي، وأنه يختلف بالعبارة؛ فأخذ كلامهم ونصره وصار أبو الحسن الأشعري كُلابيًّا.

وهكذا يعد مذهب الأشاعرة يعد مذهبًا كُلابيًّا.

....

هذه المسألة تَفَطَّنوا لها، هذا خلاف ما قرره أهل السنَّة الإيمان يزيد وينقص لكن لم يقولوا لم يبق منه شيء؛ لأنه إذا لم يبق من الإيمان شيء كان المرء كافرًا، فلابد أن يبقىٰ معه من الإيمان ما يدخل به الجنة؛ فإذا لم يبق منه شيء كان كافرًا؛ أي: لم يكن من أهل الجنة.

فكيف يوجَّه كلام سفيان هذا؟ له عندنا توجيهان:

الأول: لعله قال ذلك تحذيرًا، أو زجرًا عن المعاصي التي تنقص الإيمان.

الثاني: التحذير مما يوجب الردة؛ لأن مَن وقع في الردة ذهب إيمانه.



[رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة]

قال الحميدي:

وَالإِقْرَارُ بِالرُّؤْيَةِ بَعدَ المَوتِ.

وَمَا نَطَقَ بِهِ القُرآنُ وَالحَدِيثُ مِثلُ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة:٦٤]. وَمِثلُ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]. وَمَا أَشبَهَ هَذَا مِنَ القُرآنِ وَالحَدِيثِ لا نَزِيدُ فِيهِ، وَلا نُفَسِّرُهُ، وَنَقِفُ عَلَىٰ مَا وَقَفَ عَلَيهِ القُرآنُ وَالسُّنَّةُ، وَنَقُولُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وَمَن زَعَمَ غَيرَ هَذَا فَهُوَ مُعَطِّلٌ جَهمِيٌّ.

هذا شروع من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في تقرير عقيدة أهل السنَّة والجماعة في أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وصفاته، وهذا التقرير إجمالًا وتلخيصًا بأن تلَقِّي هذا الباب -أعني: باب أسماء الله وصفاته- لا يكون إلا من القرآن والسنَّة الصحيحة وتفصيلًا يتضمن أمورًا:

الأمر الأول: أن أهل السنَّة حينما يُثبتون لله صفة أو ينفون عنه صفة؛ فإنهم لم يقولوا هذا من تلقاء أنفسهم، بل بما استقر عندهم، وتقرر من القرآن ومن السنَّة الصحيحة.

فهم يثبتون ما أثبته الله في كتابه وينفون ما نفاه عن نفسه في كتابه، وكذلك يثبتون من أسماء ربهم وصفاته ما جاءت به السنَّة الصحيحة، وينفون عنه كذلك.

فالخلاصة: أنهم لا يتلقون هذا الباب إلا من القرآن والحديث الصحيح.

وذكر هاهنا ثلاثًا من صفات الرب سبحانه وتعالى:

الصفة الأولى: الرؤية، قال: بعد الموت -يعني: يوم القيامة؛ لأن الناس في الدنيا لا يرون الله عز وجل، كما قال الله تعالى لموسى -عليه الصلاة والسلام- حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣]؛ يعني: في الدنيا.

الصفة الثانية: صفة اليد، واستدل عليها بآية المائدة: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة:٦٤].

هنا الشاهد: والمصنفون كثيرًا ما يقطعون بعض الآية تنبيهًا للآخر.

فقوله: غُلت أيديهم هذا ليس فيه شاهد، وإنما الشاهد الذي لا يحتمل التأويل ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾.

والصفة الثالثة: صفة الاستواء لله سبحانه وتعالى، ولابد هاهنا بارك الله فيكم من قواعد:

القاعدة الأولىٰ: أن التلقي من الكتاب والسُّنَّة الصحيحة فلا مجال فيها لاجتهاد.

القاعدة الثانية: أن صفات الرب -جل وعلا- معلومة باعتبار، مجهولة باعتبار، فهي معلومة باعتبار المعنىٰ ومجهولة باعتبار الكيفية.

فأهل السُّنَّة لا يفوضون معنىٰ الصفة وإنما يفوضون كيفيتها؛ لأن الصفة لها كيفية لكن علم هذه الكيفية مرده إلىٰ الله تعالىٰ فإنه أعلم بنفسه من غيره، وأعلم بخلقه من غيره.

فعلم كيفية الصفة وإدراك كنه الصفة هذا مرده إلىٰ الله ﷻ أما المعنىٰ؛ فإن أهل السُّنَّة يتكلمون فيه، فمثلًا: في اللغة اليد هي آلة العمل والرؤية تكون بالعين.

والاستواء من معانيه الاستقرار والارتفاع والقصد هذا من معانيه وهكذا.

القاعدة الثالثة: أن من اعترض صفة من صفات الله تعالىٰ بتشبيه أو تأويل باطل أو تعطيل يقال له ما يلي:

أولًا: كلامك ليس عليه دليل بل الدليل علىٰ خلافه.

ثانيًا: كلامك مخالف للنص من كتاب أو سنَّة.

ثالثًا: كلامك يخالف إجماع السلف، فقد يوجد من الصفات ما تستدعي أربعة أمور أو خمسة بحسبها.

ومراد الشيخ الحميدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن عقيدة أئمة السلف إثبات هذه الصفات والرد علىٰ من ينكرها، وأنه ليس عندهم من التحفظ فأهل السُّنَّة موقفهم من صفات الله تعالىٰ إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، يثبتون أسماء الله تعالىٰ وصفاته دون تشبيهها بصفات المخلوقين، وكذلك ينزهونه عن النقائص دون تعطيل، فحينما يثبتون لله عَجَلَّ السمع والبصر واليد والقدم والرِّجل والوجه وغيرها، فهم يثبتونها علىٰ الوجه اللائق بالله تعالىٰ لا يشبهونه بصفات المخلوقين، وإذا نفىٰ الله عن نفسه صفة نفوها، وأثبتوا ضدها علىٰ الوجه الأكمل، أو نفاها عنه رسوله ﷺ ينفونها كذلك، ويثبتون ضدها علىٰ الوجه الأكمل.

فعلىٰ سبيل المثال عندما ينفي الله تعالىٰ عن نفسه العجز.

الموقف الأول: نفي العجز.

الموقف الثاني: إثبات كمال القدرة.

وعندما ينفي الله عن نفسه الظلم: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦].

أهل السُّنَّة ينفون هذه الصفة أليس كذلك؟ ويثبتون كمال العدل.

[الفرق بين أهل السنة والخوارج]

قال الحميدي -رحمه الله تعالىٰ-:

وَأَلَّا نَقُولَ كَمَا قَالَتِ الخَوَارِجُ: مَن أَصَابَ كَبِيرَةً فَقَد كَفَرَ، وَلَا نُكَفِّرُ بِشَيءٍ مِنَ الذُّنُوبِ، إِنَّمَا الكُفرُ فِي تَركِ الخَمسِ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُنِيَ الإِسلَامُ عَلَىٰ خَمسٍ: شَهَادَةِ أَن لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَومِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ البَيتِ».

الخروج علىٰ ضربين:

١- خروج عام.

٢- وخروج خاص.

الأول: الخروج العام: يطلق علىٰ كل من خرج علىٰ الإمام ونابذه بالسيف، وإن لم يكفره، وهذا هو البغي، ومن هذا قُطَّاع الطُّرق المحاربون الذين يتربصون للناس في الطرقات أو يسطون علىٰ القرىٰ والمدن، فكل من خرج علىٰ الإمام المسلم ورفع السيف في وجهه فهو خارجي بالمعنىٰ العام كفر الإمام أو لم يكفره.

الثاني: الخروج الخاص: وهو الخروج علىٰ أهل السُّنَّة.

وهؤلاء المكفِّرة الذين يُكفِّرون بالمعاصي؛ فكل صاحب كبيرة عندهم كافر في الدنيا، وهو خالد مخلد في النار، وهؤلاء هم الذين عناهم الشيخ بالقول، ولا نقول كما قالت الخوارج.

هؤلاء الخوارج وافقوا المعتزلة في جانب وخالفوهم بجانب آخر -أعني: بالنسبة لمرتكب الكبيرة-، فوافقوا المعتزلة في الحكم الأخروي، وهو تخليد مَن مات علىٰ كبيرة في النار تخليدًا أبديًّا سرمديًّا، وخالفوهم في الحكم في الدنيا.

أما المعتزلة فيرون أن صاحب الكبيرة في مَنزلة بين المنزلتين في الدنيا؛ أي: لا مسلم ولا كافر.

وكلتا الطائفتين ضالَّتان، وسَعِدَ -ولله الحمد- أهل السُّنَّة والجماعة، فالمعاصي لا تسلب الإيمان، وإنما تسلب كماله؛ فمرتكب الكبيرة عند أهل السنة حكمه في الدنيا مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو يقولون: مؤمن ناقص الإيمان، وفي الآخرة تحت مشيئة الله، من لقي الله تعالىٰ مصرًّا علىٰ كبيرة كان تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وإن عذبه لم يخلِّده في النار.

....

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وقد دلَّ الكتاب على هذا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

فقد دلَّت الآية على أمرين:

الأمر الأول: عدم مغفرة الله لمن مات على الشرك، وهذا يدخل فيه الشرك الأكبر والأصغر، ولا يدخل تحت المشيئة، بل هو تحت الوعيد، وهذا يُؤخذ من الآية فإن (ما) وما دخلت عليه في تأويل مصدر تقديره: إن الله لا يغفر الشرك ويفرق بينهما من وجهين:

أحدهما: أن الأكبر ناقل عن الملة والأصغر ليس كذلك.

وثانيها: أن الأكبر مُوجب للخلود في النار، والأصغر لا يلزم منه ذلك، لكنه أكبر من الكبائر.

ومن الأحاديث المتواترة قوله ﷺ: «**من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقي الله يشرك به شيئًا دخل النار**». أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه[١].

وأخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ كلمة، وقلت

---

(١) باب من لقي الله لا يشرك به، رقم (١٥٢).

أخرىٰ، قال رسول الله ﷺ: «**من مات يدعو لله ندًّا دخل النار**. وقلت أنا: من مات لا يدعوا لله ندًّا دخل الجنة»(١).

وفي «صحيح البخاري» وغيره عن أبي هريرة ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ «من أسْعَد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: **لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك؛ لما رأيت من حرصك علىٰ الحديث! أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قبل نفسه**»(٢).

وقال النووي -رحمه الله تعالىٰ- في حديث جابر وابن مسعود، وما في معناهما بشرحه علىٰ «صحيح مسلم»، باب: الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعًا: «فالموحد مقطوع له بالجنة، هذا وعد من الله علىٰ لسان رسوله ﷺ، ولكنه تحت مشيئة الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾».

والأمر الثاني: يغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

وتقسم الخوارج إلىٰ:

١ - محاربة.   ٢ - وقعدية.

---

(١) أخرجه البخاري باب قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]. رقم (٤٢٢٧).

(٢) أخرجه البخاري، باب: الحرص علىٰ الحديث رقم (٦٢٠١).

١- المحاربة: مع تكفيرهم الإمام ومن تحت ولايتهم راضيًا بها يرفعون السيف يحاربون.

وهؤلاء المحاربة وهم قسمان:

القسم الأول: له راية معلومة يمكن الوصول إليها، وهؤلاء يسوغ للإمام مناظرتهم ومحاورتهم بالأدلة كما صنع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه رابع الخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم أجمعين- عندما أرسل ابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنه إلىٰ أهل النهروان؛ فإنه ناظرهم حتىٰ أفحمهم فرجع منهم ألوف إلىٰ حظيرة الخلافة[1].

والقسم الثاني: الخوارج المحاربة ليست لهم راية، بل عصابات، أو لهم راية لا يمكن الوصول إليها.

وهؤلاء لا يناظرون، بل إذا وقعوا في حبائل السلطان نكَّل بهم، وطبَّق فيهم ما تضمنته آية المائدة: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ

(١) ذكر ابن كثير في كتابه الكبير «البداية والنهاية»: «أن عليًّا رضي الله عنه لما رجع من الشام بعد وقعة صفِّين ذهب إلىٰ الكوفة؛ فلما دخلها انعزل عنه طائفة من جيشه قيل ستة عشر ألفًا، وقيل: اثني عشر ألفًا، وقيل أقل من ذلك؛ فباينوه وخرجوا عليه، وأنكروا أشياء فبعث إليهم عبد الله ابن عباس فناظرهم فيها، ورد عليهم ما توهموه شبهة، ولم يكن له حقيقة في نفس الأمر، فرجع بعضهم واستمر بعضهم علىٰ ضلالهم». انظر قصة المناظرة وما كان من أمرهم: «البداية والنهاية» لابن كثير (ج١/ ٢٨).

فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣].

وفي هذا تعلمون أن من يدعو إلىٰ محاورة ومجادلة الخوارج علىٰ الإطلاق هذا، إما جاهل وإما ضالٌّ مُضِلٌّ، وسواء كان هذا أو ذاك؛ فإنه لا يُلتفت إليه، هذا ما يتعلق بالمحاربة.

٢- **أما القعدية:** فهم الذين يُحَرِّضون علىٰ السلطان المُسلم؛ إما صراحة أو إشارة.

فصراحة يسمونه باسمه، ويسمون ولاته بأسمائهم، ويشيعون أخطاءهم ويذيعونها علىٰ الملأ في شتىٰ المحافل وبشتىٰ الوسائل، أو بالإشارة لا يذكرون السلطان ولا نوابه، ولكن يشيرون إشارة بعبارات يحرضون بها علىٰ السلطان القائم ونوابه، مثل حينما يحذرون الرشوة مثلًا تجدهم يغمزون الحاكم وغير ذلك من الأمور.

سموا قعدية؛ لأنهم لا يحملون السيف وإنما يُحرضون وهم قعود، والحق أن الخوارج القعدية هم بذرة الخوارج المحاربة؛ فإن إلهاب مشاعر الناس وتحريضهم علىٰ الحكام أو نوابهم هذا هو قاعدة الخروج وحربهم.

فقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا نكفر بشيء من الذنوب»؛ هذا ليس علىٰ إطلاقه عند أهل السنة، بل العصاة قسمان:

....

قسم يقارف ما يقارف من كبائر الذنوب: كالزنا، وشرب الخمر والسرقة، وغيرها من الكبائر معتقدًا تحريمها لكنه غلبت عليه الشهوة فهذا فاسق.

والقسم الآخر: من يستحل ما هو معلوم تحريمه من الدين بالضرورة كما ذكرنا، أو ينكر فرضًا معلومًا من الدين بالضرورة، أو حتىٰ غير الفرض؛ فهذا يُكفَّر، فمن استحل الخمر صراحة وأعلنها، وهو عالم بتحريمها؛ فهذا مرتدٌّ يُستتاب؛ فإن تاب وإلا يُقتل ردَّة هكذا في جميع الكبائر.

كذلك من علم أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة وهو يعلم تحريمه، ومن استحل المعاصي باطنًا كان هذا منافقًا وتجري عليه أحكام الإسلام في الظاهر، وإنما نكفِّر من استَحلَّها ظاهرًا وكان علىٰ علم في تحريمها.

❊ ❊ ❊

قول المصنف: (إِنَّمَا الكُفرُ فِي تَركِ الخَمسِ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُنِيَ الإِسلَامُ عَلَىٰ خَمسٍ: شَهَادَةِ أَن لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَومِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ البَيتِ»).

أقول هذه الخمس تنقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما تركه كفر، وهذا في ترك الشهادتين؛ لأن الشهادتين هما أساس الإسلام فشهادة أن لا اله إلا الله إقرار لله بالوحدانية، وشهادة أن محمدًا رسول الله إقرار له بالرسالة فمن ترك الشهادتين كفر.

القسم الثاني: ترك الصلاة المكتوبة، فالصلاة من تركها جاهلًا يَظُن عدم وجوبها كمن أسلم حديثًا، أو كان في بادية نائية عن العلم وأهله فيرىٰ إن شاء صلىٰ وإن شاء ترك، لا يعتقد وجوبها لجهله؛ فهذا يُعرَّف وجوبها ويُعلَّم ويُبيَّن له؛ فإن صلىٰ فهذا مسلم، وإن لم يصلِّ كَفَر لأنه جاحد في هذه الحالة.

القسم الثالث: من ترك الصلاة جاحدًا وجوبها بعد علمه بها فهذا كافر بالإجماع ليس فيه خلاف فيستتاب؛ فإن تاب وإلا قُتل رِدَّة، لا يُغسل ولا يُكفن ولا يُصلىٰ عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولا يرثه أهله من المسلمين والحاكم يجعل ماله فيئًا.

الثاني: من تركها تكاسلًا مع إقراره بوجوبها فقد اختلف الأئمة فيه علىٰ قولين:

أحدهما: أنه فاسق يُستتاب؛ فإن تاب وإلا قُتل، وكان قتله عندهم حدًّا فيُغسل ويُصلىٰ عليه ويُدفن في مقابر المسلمين، ويُدعىٰ له، ويرثه أهله المسلمون، وهذا هو قول أبي حنيفة والزهري ومالك والشافعي، وهو إحدىٰ الروايتين عن أحمد -رحم الله الجميع-.

والقول الثاني: أنه كافر، ويَستدل أهلُ هذا المذهب من الكتاب والسنة، فمن الكتاب: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:٥].

وفي الآية الأخرىٰ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة:١١].

ووجه ذلك: أن الله ﷻ علَّق تخلية سبيل هؤلاء كما في إحدىٰ الآيتين، وأخوتهم في الدين علىٰ هذه المسائل، وهي التوبة وهي الدخول في الإسلام وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

ومن السنة المستفيضة قوله ﷺ: «**أُمِرْت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة؛ فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم علىٰ الله**»(١).

(١) أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه، باب: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾ [التوبة:٥]. رقم (٢٥)، وأخرجه مسلم في الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله رقم (٢٢).

والشاهد من هذا الحديث: تعليق النبي ﷺ عِصْمة الدم والمال على هذه الثلاثة أمور وهي الشهادتان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

وقوله ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها فقد كفر**»(١).

ونقل عبد الله بن شقيق عن الصحابة -ويعده بعضهم إجماعًا- قال: «لم ير أصحاب محمد شيئًا تركه كفر إلا الصلاة».

وهذا هو أرجح القولين عندنا وعند المحققين أصحاب أحمد وغيرهم وممن أدركناه على هذا، وظهر منه صراحة الإمام الأثري الشيخ عبد العزيز ابن باز -رحمه الله تعالى-، والإمام الفقيه المجتهد المحقق الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله.

الثالث: بقية أركان الإسلام الخمسة، وهي: الزكاة وصوم رمضان والحج فهذه يكفر تاركها جحودًا إذا كان يعلم ذلك، أما تاركها تكاسلًا وتهاونًا فهو فاسق.

❊ ❊ ❊

---

(١) قال الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: «حديث صحيح رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وقال: صحيح ولا نعرف له علة».

[متى تقوم الحجة على تارك أركان الإسلام أو بعضها؟]

قال الحميدي -رحمه الله تعالىٰ-:

فَأَمَّا ثَلَاثٌ مِنهَا فَلا يُنَاظَرُ تَارِكُهَا: مَن لَم يَتَشَهَّد وَلَم يُصَلِّ وَلَم يَصُم؛ لأَنَّهُ لا يُؤَخَّرُ شَيءٌ مِن هَذَا عَن وَقتِهِ، وَلا يُجزِئُ مَن قَضَاهُ بَعدَ تَفرِيطِهِ فِيهِ عَامِدًا عَن وَقتِهِ.

فَأَمَّا الزَّكَاةُ، فَمَتَىٰ مَا أَدَّاهَا أَجزَأَت عَنهُ، وَكَانَ آثِمًا فِي الحَبسِ.

هذا تفصيل آخر في هذه الأمور الخمسة:

فمن لم يتشهد، ومن لم يصلِّ، ولم يصم، هذه لا يناظر عليها؛ لأنها معروفة من الدين بالضرورة، وقد علمتم التفصيل في الأركان الخمسة بصفة عامة.

فالزكاة حق للمساكين يأثم بعدم إخراجها حتىٰ يوصلها إليهم، والصلاة والصيام من تركهما عامدًا حتىٰ خرج وقتهما فهذا لا يؤمر بالقضاء.

والظاهر أن هذا فيه تفريق: إذا كان الترك علىٰ سبيل الدوام، مضىٰ دهرًا

من عمره وهو لا يصلي، ولا يصوم فهذا تكفيه التوبة؛ لأن التوبة تجب ما قبلها أما إن كان ترك فرضًا، أو فرضين فهذا يؤمر بالقضاء والصيام، من أفطر أيامًا عامدًا يؤمر بالتوبة والقضاء وحديث: «**من أفطر يومًا من رمضان في غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صوم الدهر**». فهذا حديث ضعيف، والله أعلم[1].

* * *

(١) قال الشيخ الألباني -رحمه الله تعالىٰ- في «تمام المنة» (٣٩٦): «رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي وقال البخاري: ويذكر عن أبي هريرة رفعه...
قلت: الحديث ضعيف، وقد أشار لذلك البخاري بقوله: «ويذكر»، وضعفه ابن خزيمة في «صحيحه» (٣/ ٢٣٨)، والمنذري، والبغوي، والقرطبي، والذهبي، والدميري فيما نقله المناوي، والحافظ ابن حجر وذكر له ثلاث علل: الاضطراب والجهالة والانقطاع راجع لها. «فتح الباري» (٤/ ١٦١)، ولكنه اخطأ في قوله: «وصححه ابن خزيمة»، والصواب أن يقال: رواه في صحيحه وضعفه في الترجمة بقوله : «إن صح الخبر فإني لا أعرف ابن المطوس ولا أباه».

قال الحميدي:

وَأَمَّا الحَجُّ؛ فَمَن وَجَبَ عَلَيهِ وَوَجَدَ السَّبِيلَ إِلَيهِ، وَجَبَ عَلَيهِ، وَلا يَجِبُ عَلَيهِ فِي عَامِهِ ذَلِكَ حَتَّىٰ لا يَكُونَ لَهُ مِنهُ بُدٌّ مَتَىٰ أَدَّاهُ كَانَ مُؤَدِّيًا، وَلَم يَكُن آثِمًا فِي تَأخِيرِهِ إِذَا أَدَّاهُ كَمَا كَانَ آثِمًا فِي الزَّكَاةِ؛ لأَنَّ الزَّكَاةَ حَقٌّ لِمُسلِمِينَ مَسَاكِينَ حَبَسَهُ عَلَيهِم، فَكَانَ آثِمًا حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَيهِم.

وَأَمَّا الحَجُّ؛ فَكَانَ فِيمَا بَينَهُ وَبَينَ رَبِّهِ إِذَا أَدَّاهُ فَقَد أَدَّىٰ، وَإِن هُوَ مَاتَ وَهُوَ وَاجِدٌ مُستَطِيعٌ وَلَم يَحُجَّ سَأَلَ الرَّجعَةَ إِلَىٰ الدُّنيَا أَن يَحُجَّ، وَيَجِبُ لأَهلِهِ أَن يَحُجُّوا عَنهُ، وَنَرجُو أَن يَكُونَ ذَلِكَ مُؤَدِّيًا عَنهُ، كَمَا لَو كَانَ عَلَيهِ دَينٌ فَقُضِيَ عَنهُ بَعدَ مَوتِهِ.

[تمت الرسالة، والحمد لله رب العالمين]

هذه قاعدة عامة في قضاء الديون، فمن مات وعليه دَين قُضي عنه لقوله -عليه الصلاة والسلام- للخثعمية وغيرها: «**أرأيت لو كان علىٰ أبيك دَين فقضيته أيؤدي ذلك عنه، قال: فدَين الله أحق بالقضاء**»[1].

---

(١) قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «إرواء الغليل» جامعًا روايات الحديث وطرقه وألفاظه: «أخرجه البخاري (١/ ٤٦٤ و٤/ ٤٣١)، والبيهقي (٤/ ٣٣٥) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: «أن امرأة جاءت إلىٰ رسول الله ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فماتت قبل أن تحج، أفأحج عنها؟ قال: **نعم، فحجي عنها، أرأيت لو كان علىٰ أمك دين أكنت قاضيته**؟ قالت: نعم. قال: **اقضوا الله، فإن الله أحق بالوفاء**».

=

=

وأخرجه النسائي (٢/ ٤)، والدارمي (٢/ ٢٤)، وأحمد (١/ ٢٣٩-٢٤٠) إلا أنهما قالا: «إن امرأة نذرت أن تحج فماتت، فأتىٰ أخوها النبيﷺ فسأل عن ذلك فقال: أرأيت...».

وفي أخرىٰ لأحمد (١/ ٣٤٥): «جاء رجل إلىٰ النبيﷺ فقال: إن أختي نذرت أن تحج وقد ماتت...». وهو رواية للبخاري (٤/ ٢٧٥)، وابن الجارود (٢٥٠).

وفي رواية أخرىٰ عن سعيد بن جبير عنه: «إن امرأة أتت رسول اللهﷺ فقالت: إن أمي ماتت وعليها صوم شهر، فقال: **أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه؟** قالت: نعم. قال: **فدين الله أحق بالقضاء**». أخرجه مسلم (٣/ ١٥٥ و١٥٦)، وأحمد (١/ ٢٢٤ و٢٢٧ و٢٥٨ و٣٦٢)، ورواه ابن ماجه (١٧٥٨) عن سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد عن ابن عباس به إلا أنه قال صفحة (٢٦٢): «وعليها صيام شهرين متتابعين».

وليس الحديث مضطربًا بهما كما يبدو لأول وهلة من الاختلاف في النذر، هل هو الحج أو الصوم، فإن الواقع أنهما قضيتان سألت عنهما المرأة، فروىٰ بعض الرواة إحداهما، وبعضهم الأخرىٰ، بدليل حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه ﭬ قال: «بينا أنا جالس عند رسول اللهﷺ إذ أتته امرأة، فقالت: إني تصدقت علىٰ أمي بجارية، وإنها ماتت، فقال: **وجب أجرك، وردها عليك الميراث**. قالت: يا رسول الله، إنه كان عليها صوم شهر - وفي رواية: شهرين- أفأصوم عنها؟ قال: **صومي عنها**. قالت: إنها لم تحج قط أفأحج عنها؟ قال: **حجي عنها**».

أخرجه مسلم (٣ /١٥٦ و١٥٧)، وأحمد (٥/ ٣٤٩ و٣٥١ و٣٥٩)، وهذه المرأة السائلة، هي غير الخثعمية التي سألت عن أبيها صبح يوم النحر.

وقد روىٰ قصتها ابن عباس أيضًا، وعنه سليمان بن يسار قال: «كان الفضل بن عباس رديف رسول اللهﷺ فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه، فجاء الفضل ينظر إليها، وتنظر إليه، فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلىٰ الشق الآخر، قالت: يا رسول الله، إن فريضة الله علىٰ عباده في الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا، لا يستطيع أن يثبت علىٰ الراحلة
=

الديون التي لله يجب قضاءها عن الموتىٰ.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إلا سأل الرجعة».

أنا لا أعرف حتىٰ الآن دليلًا أنا لا أعلم إلا الآية وهي: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠]. هذه محتملة.

لكن الحج يجب علىٰ الفور، ثم ذُكِّر الشيخ بحديث: «**من كان له مال يبلغه حج بيت ربه، أو يجب عليه فيه الزكاة؛ فلم يفعل سأل الرجعة عند**

=

أفأحج عنه؟ قال: **نعم**. وذلك في حجة الوداع».

أخرجه البخاري (١/ ٤٦٤ و٤/ ١٧٢)، ومسلم (٤/ ١٠١)، ومالك (١/ ٣٥٩/ ٩٧)، والشافعي (١/ ٢٨٧)، وأبو داود (١٨٠٩)، والنسائي (١/ ٤ و٥)، والترمذي (١/ ١٧٤)، وابن ماجه (٢٩٠٩)، والدارمي (٢/ ٣٩-٤٠ و٤١)، والبيهقي (٤/ ٣٢٨)، وأحمد (١/ ٢١٢ و٣٥٩)، وزاد هو والدارقطني وابن ماجه: «**نعم فإنه لو كان علىٰ أبيك دين قضيته**». وإسناده صحيح.

وزاد النسائي وابن الجارود صفحة (٢٦٣): «غداة النحر». وسندها صحيح أيضًا. ورواه نافع بن جبير عن عبد الله بن عباس: «أن امرأة من خثعم جاءت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أبي شيخ كبير قد أفند، وأدركته فريضة الله علىٰ عباده في الحج، ولا يستطيع أداءها، فهل يجزئ عنه أن أؤديها عنه؟ قال رسول ﷺ: **نعم**». أخرجه ابن ماجه». انتهىٰ.

الموت»[١]، وهذا الحديث لو صح عن ابن عباس لكان له حكم الرفع لأنه لا مجال للاجتهاد فيه.

والمقصود: أن ديون الله ﷻ تُقضىٰ، قال -عليه الصلاة والسلام-: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**»[٢].

وكذلك الزكاة؛ يعني: من مات بعد حول ماله، وكان المال له نصابًا زكىٰ الورثة قبل أن ينتقل المال إليهم تخرج الزكاة.

تم الكتاب

(١) رواه الترمذي عن ابن عباس.

قال الشيخ الألباني: «ضعيف». انظر حديث رقم (٥٨٠٣) في «ضعيف الجامع» رقم (١٢٥٧٦).

(٢) أخرجه البخاري، باب: من مات وعليه صوم رقم (١٨٥١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن رسول الله ﷺ قال: **من مات وعليه صيام؛ صام عنه وليه**». وأخرجه مسلم في الصيام، باب: قضاء الصيام عن الميت رقم (١١٤٧).

الأسئلة

س: عند التحدث عن المنحرفين؛ نسمع من بعض الأفراد بعض العبارات منها:

أولًا: الله لا يسألك في قبرك عنهم.

ثانيًا: يقول الحق يؤخذ ولو من الشيطان مستدلِّين بحديث أبي هريرة.

الجواب:

أولًا: مشىٰ السلف الصالح علىٰ التحذير من المبتدعة، وشدة النكير عليهم، والإغلاظ لهم سرًّا وجهرًا، حتىٰ تَحْذَرهم الأمة؛ لأن المقصود هو تصفية التدَين وتخليصه لله ﷻ، وقول القائل: إن الله لا يسألك في قبرك! ومن أنبأه بهذا.

القبر له فتنة، والعبد يُنَعَّم ويُعَذَّب في قبره حسب السؤال والرضا بالمعصية والممالأة عليها كفعلها، هذا متفق عليه بين الأئمة، وبهذا تعلمون أن أتباع الجماعات المنحرفة وهم الذين يوالون ويعادون فيها مُعَرَّضون لعقاب الله ﷻ؛ لأنهم أقروا المحدثات في دين الله تعالىٰ، بل أهل السنة

يردون المخالفة علىٰ صاحبها، وإن كان من أهل السنة، بل يشتدون في الرد علىٰ المخالف.

الأمر الآخر: وهو في استدلالهم علىٰ تسويق الجماعات المنحرفة.

وأقول: قد قلت عشرات المرات -إن لم يكن مئات المرات-: جميع الجماعات الدعوية المنحرفة ضالة مضلة، وعلىٰ رأسها جماعة التبليغ وجماعة الإخوان المسلمين لأنها مبتدعة في دين الله تعالىٰ، وأَصَّلَت أصولًا، وقعَّدَت قواعد بدعية.

بعد هذه الجملة الاعتراضية أعود إلىٰ المقولة وهي استدلالهم بحديث أبي هريرة رضي الله عنه في «صحيح البخاري» -إن لم يكن في الصحيحين- هذا الأمر عندنا لا شك فيه، وله أيضًا نظائر منها: أن رسول الله ﷺ لمل أتاه حَبْرٌ من اليهود فقال: يا أبا القاسم، إنا نجد في كتابنا أن الله يرفع السماء...

قال ابن مسعود: فضحك رسول الله ﷺ حتىٰ بدت نواجذه تصديقًا... الحديث.

نقول: ليس عندنا نزاع في قبول الحق ممن جاء به، فلو قال جهمي أو معتزلي: العبادة محض حق الله تعالىٰ فلا حظ فيها لملَك مقرب ولا لنبي مرسل؛ نقول: هذا صحيح، لكن يفرق بين من هو أصل في أخذ الحق منه، وبين من هو ليس أصلًا في أخذ الحق منه.

فالذي هو أصل في قبول الحق منه وأخذ العلم منه هو المسلم صاحب السنة، هذا هو الذي يُؤخذ منه، وأما غير المسلم أو مسلم مبتدع؛ فهذا إذا قال قولًا أو أسس قاعدة أو أصل أصلًا، عرضنا علىٰ شرع محمد ﷺ؛ فإن وافق قبلناه، وإن لم يوافقه تركناه مع أننا لسنا بحاجة إلىٰ هؤلاء، لكن شاعت بيننا كما ذكرت لكم في المثال.

كذلك لو قال يهودي، أو نصراني: إن الله فوق العرش، وعرشه فوق سمواته؛ هل هذا حق أم باطل؟ هذا حق؛ لكن هل نحن نطلب هذا من اليهودي أو النصراني حتىٰ نأخذ العلم عنه؟

الجواب: لا، ليس كذلك.

فإذن؛ نعود إلىٰ الحديث وهو قوله: «**صدقك وهو كذوب**»؛ يعني: أنه صدق في هذه الحالة وهو في حاله كلها كذوب.

لكن صاحب هذا القول:

أولًا: هو إخواني لا مِرية فيه عندي يستسغي من قاعدة المعذرة والتعاون وما من حزبي عرفناه، بل أتباع الجماعات الدعوية كلهم يستسغون من قاعدة المعذرة قاعدة حسن البنا (نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه).

هذه القاعدة الفاجرة الظالمة التي فتحت الباب علىٰ مصراعيه أمام كل

نِحلة ضالة، سواء كانت تنتمي إلىٰ الإسلام كالرافضة، أو غير مسلمة كاليهودية والنصرانية، وكذلك من إفرازات هذه القاعدة قاعدة الموازنة، هم يستدلون بها علىٰ قاعدتهم، وقاعدة الموازنة هي من إفرازات قاعدة المعذرة والتعاون.

***

س: ما هو توجيهكم لمن يتابع القنوات الفضائية بحجة أخذ العلم منها؟

الجواب: القنوات الفضائية هي ليست أصلًا في أخذ العلم؛ لكن هي عندي علىٰ قسمين:

القسم الأول: الفساد فيها أكثر من الصلاح والغث أكثر من السمين، والباطل أكثر من الحق؛ فهذه أنا لا أنصح بمتابعتها خشية أن يقع في شباكها وشراكها من لا فقه عنده فيختلط عليه الأمر فيصير فكره مزيجًا بين حق وباطل وبدعة وسنة وهدىٰ وضلال.

والقسم الثاني: الحق فيها كثير، وفيها فساد؛ لكن فيها كثير من الحق ويخرج فيها علماء فضلاء؛ فهذه وإن كان فيها فساد لكن يصدق عليها قول الرسول ﷺ -فيما أرىٰ-: «**إن الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر**».

فهذه يستفيد منها من كان راسخًا في العلم يريد أن يستفيد من فضلاء المشايخ الذين يخرجون في هذه القناة.

س: الإحرام من الميقات ليلًا قبل دخول رمضان بليلة هل تكون هذه العمرة من رمضان؟

الجواب: أرجو إن كان في ليلة الأول من رمضان أن تكون عمرته في رمضان، أما إن كان في الليلة قبل الأول من رمضان أو ليلة الشك فهذا أرىٰ أن يعيد عمرته إذا أراد أن يحصل علىٰ فضيلة العمرة في رمضان.

* * *

س: ما هو حكم لبس البنطال وخصوصًا في الدوائر الرسمية التي تفرض فيها الدولة ذلك وما حكم الصلاة فيه؟

الجواب:

أولًا: أن البنطال ليس من سمت المسلمين.

ثانيًا: من حيث الصلاة، إن كان يصف البشرة فلا تصح الصلاة فيه لأن من شروط الصلاة ستر العورة، وكون الدولة تفرضه هذا إذا كان مضطرًّا للعمل لا يجد قوته وقوت عياله؛ فتكون هذه ضرورة فيَتَّقي الله ما استطاع فيلبس بنطالًا فَضفَاضًا لا يصف البشرة حتىٰ يهيئ اللهُ له مخرجًا.

* * *

س: ما حكم شراب الشعير الموجود الآن في الأسواق؟

الجواب: تخمير الشعير (السوبيا) هو يخمر بطريقة تُكْسِبه لذة ونكهة جميلة، وهذا مُباح في الأصل؛ لكنه إذا زَبد حينما تفك العبوة وتجد لها زبدًا -عفونة- فهذا دليل علىٰ أنها مُسكرة إذا كانت رغوة قوية تتدفق زبد يطفح كالزبدة وفيها عفونه زائدة فهذا دليل أنها مُسكرة، وإلا فالأصل أنها جائزة.

❊ ❊ ❊

س: حكم من صلَّىٰ مع الإمام في صلاة التراويح أربع، ثم ينصرف ليصلي آخر الليل لفضيلة الوقت فهل فعله هذا صحيح؟

الجواب: إذا صلَّىٰ مع الإمام فليصلِّي حتىٰ ينصرف لحديث: «**من قام مع إمامه حتىٰ ينصرف كُتِبَ له قيام ليلة**».

وأما إذا كان يريد التأخير فليصلِّ في بيته، أو يصلي مع الإمام دون وتر، ويؤخِّر الوتر إلىٰ آخر الليل فالأمر فيه سعة.

❊ ❊ ❊

س: حكم الذهاب إلىٰ مجلس العزاء إذا لم يتيسر له خارج البيت؟

الجواب: التجمع من أجل العزاء؛ هذا من النياحة، فقد أخرج أحمد وابن ماجه عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أنه قال: كنا نعد الاجتماع عند أهل البيت بعد دفنه وصنعة الطعام من النياحة.

وأحيانًا يكون المجلس عفوي الرجل يأتيه إخوانه، وقد يجلسون عنده، ثم ينصرفون هذا لا بأس به، أما الأول فإن تيسر للمعزي أن يلقىٰ أخاه في المسجد أو الشارع في وقت هذا التجمع فلا بأس؛ فإن لم يمكنه فيذهب يعزي وينصرف.

❊ ❊ ❊

وتمت مراجعة هذا الشرح في يوم الإثنين ١١ شوال ١٤٣١هـ

وصَلِّ اللهم علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

الفهرس



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

فهرس الموضوعات

بداية الشرح:

الأسئلة:

❊ ❊ ❊